الهيمنة الحضرية لمدينة الخرطوم الكبرى

د.أحمد محمد عبد العال



الهيمنة الحضرية

لمدينة الخرطوم الكبرى

د٠ أحمد محمد عبد العال



فهرس

فهرس.. - ٣ -

المقدمة .... - ٤ -

الموضوع الأول مفهوم الهيمنة الحضرية ومقاييسها... - ٥ -

الموضوع الثانى خصائص النظام الحضري السودانى .... - ٧ -

الموضوع الثالث: أسس الهيمنة الحضرية لمدينة الخرطوم الكبرى ونتائجها .... - ٢٩ -

الخاتمة .... - ٣٧ -

الهوامش.. - ٣٩ -

المصادر .... - ٤٢ -



المقدمة

يهدف هذا البحث إلى دراسة الهيمنة الحضرية لمدينة الخرطوم الكبرى عاصمة دولة السودان، وذلك بإلقاء الضوء على أسباب هذه الهيمنة أو العوامل التى أدت إليها، وكذلك النتائج التى ترتبت عليها[1]، وذلك في أربعة موضوعات تناول **الأول** منها مفهوم الهيمنة الحضرية من ناحية، ثم بعض مقاييسها كقانون المدينة الأولى وقاعدة المرتبة -- الحجم من ناحية أخرى، وهى الهيمنة التى أوجدها ذلك المزيج المؤلف من العوامل التالية: حجم المدينة وظائفها، دورها الاقليمى، علاقتها بعناصر النظام الحضري الأخرى وبتباعد هذه العناصر، مركزها بالنسبة للهيراركية الحضرية في دولتها، ونصيبها من عناصر البنية الأساسية ومظاهر الحياة الاقتصادية والاجتماعية في هذه الدولة.

أما الموضوع **الثاني** فقد خصص لدراسة خصائص النظام الحضري السوداني الذي تمارس فيه مدينة الخرطوم الكبرى دورها المهيمن كمدينة أولى primate city، وهو النظام الذي يتسم بالخلل وعدم التوازن بسبب تفرد المدينة بوضع مهيمن أضعف غيرها من عناصر هذا النظام بالدرجة ذاتها – إن لم تكن أكبر – التى أضعف بها مناطق السودان الريفية.

وقد عالج الموضوع **الثالث** عملية النمو السكاني والعمراني للمدينة – خاصة منذ بداية القرن العشرين – بما في ذلك تتبع تطور إسهامها النسبى في جملة سكان السودان، وفى جملة سكان حضر السودان، وعناصر سكانها حسب مناطقهم الأصلية، ورصد تطور هيمنتها على النظام الحضري السوداني وما تعرضت له من ضغوط سكانية وما نتج عن هذه الضغوط من أمراض حضرية لا تزال تعانى منها حتى الآن.

أما الموضوع **الرابع** فقد تناول أسس الهيمنة الحضرية للمدينة، كالأسس الاقتصادية والاجتماعية المتمثلة في: البنوك، العاملين بالدوائر الحكومية، الخدمات الصحية والتعليمية وخدمات النقل والمواصلات، والصناعة التحويلية كما ناقش موضوع الصورة المتخيلة عن المدينة في أذهان سكان المناطق الأخرى، وهى الصورة التى تحكم" جغرافيتهم السلوكية" أو سلوكهم الجغرافي تجاه المدينة، متضمنا في كل ذلك النتائج المترتبة على هيمنة المدينة اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا، وما أدت إليه هذه الهيمنة من تأثيرات عكسية على المناطق الريفية، التى أضحت" مناطق أقل تطورا في بلد أقل تطورا هو الآخر" بسبب امتصاص قلب السودان المريض" لمعظم موارد الدولة واستثماراتها بل وسكانها، وكما بدأت الدراسة بمقدمة فقد اختتمت بخاتمة أوجزت فيها أهم نتائجها وتوصياتها.



الموضوع الأول
مفهوم الهيمنة الحضرية ومقاييسها

مفهوم الهيمنة الحضرية ومقاييسها

الهيمنة الحضرية Urban Primacy مفهوم نسبيّ يدل ببساطة على سيطرة مدينة كبيرة أو مدينتين كبيرتين في دولة من الدول أو إقليم من الأقاليم على بقية مدن هذه الدولة أو هذا الإقليم دون أن يكون لذلك حدود رقمية قصوى، وترتبط هذه الهيمنة بكل من: نمط توزع المدن على رقعة الدولة، وتفاوت هذه المدن من حيث الحجم [٧-٢٩١].

وتتحدد أهمية المدينة بعدة متغيرات أبرزها: حجمها السكاني، وظائفها، تأثيرها في ظهيرها، مدى العلاقة المتبادلة بينها وبين المدن الأخرى في الإقليم علاقتها بحجم الدولة، موقعها الجغرافي بالنسبة للنطاق المعمور، مستوى التنمية، ومدى كثافة شبكة النقل [٧-٢٩١ و٣٠٧]، وتنطبق كل هذه المتغيرات على مدينة الخرطوم الكبرى، كما يمكن أن يضاف إليها أيضا نصيب هذه المدينة من كل من: عناصر البنية الأساسية، ومظاهر الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية للدولة.

ويرتبط حجم المدينة ارتباطا كبيرا بظروف البيئة المجاورة لها، وبتوزيع بقية مدن الدولة أو الإقليم وتباعدها Spacing، ويعطى هذا الحجم انطباعا مباشرا عن وزن ومكانة هذه المدينة وأهميتها الحضرية والحضارية ويرتبط بوظائفها كما ترتبط به هذه الوظائف [٧-٢٩٢ و ٤-٩٣].

ورغم أهمية حجم المدينة إلا أنه لا يمكن الاعتماد عليه وحده كمقياس لهيمنتها الحضرية، فقد تتساوى نسبة سكان المدن في إقليمين، ولكن التركيب الحجمي لهذه المدن - الهيراركية الحضرية Urban Hierarchy أو التراتب الحضري - في كل منهما يختلف عن الآخر، ومن ثم يجب عدم الاعتماد على حجم المدينة وحده كمعيار لهيمنتها، لأن الأكثر أهمية من ذلك هو الهيراركية الحضرية للإقليم [٧-٢٩٢].

ومن ناحية أخرى فان الحجم السكاني للمدينة هو مجرد مؤشر لأولويتها أو هيمنتها الحضرية، ولا يشكل مقياسا كافيا للحكم عليها، فلو قيّمنا كل من: الدخول النقدية المرتفعة والصناعات والمرافق والخدمات الراقية، وكذلك ما لا يمكن قياسه رقميا كالسلطة والنفوذ فقد ترجح العاصمة كفة كافة مدن الدولة الأخرى [٥-٣٠٦]، كما هو الحال في مدينة الخرطوم



الكبرى بالنسبة لمدن السودان الأخرى، ومن ثم يتطلب الأمر الحصول على البيانات الخاصة بوظائف المدينة، وبعلاقاتها بعناصر النظام الحضري الأخرى.

ولكن لما كان هذا الحصول يعتبر من الأمور الصعبة، فان الحجم السكاني يبقى هو أساس المقارنة رغم عدم كفايته العائدة لكون أهمية المدن لا ترتبط فقط بحجم سكانها وإنما يضاف إلى ذلك وظائفها ودورها في إقليمها ومركزها في النظام الحضري لهذا الإقليم [٥-٣٠٦].

وفيما يتعلق بمقاييس الهيمنة الحضرية فإن قانون المدينة الأولى Primate City Law of الذي وضعه" مارك جيفرسون Jefferson, M." في عام ١٩٣٩ يعتبر أحد المحاولات الأولى لتحديد الهيمنة الحضرية للمدينة، وهو القانون الذي تقابله" قاعدة الرتبة – الحجم Rank Size Rule -، التى جاء بها" زيف Zipf G.,K.," في عام ١٩٤١، والتي تبحث عن النمط العكسي للهيمنة الحضرية، ألا وهو"التوازن الحضري Urban Balance، ويتلخص قانون المدينة الأولى في أنه بافتراض أن حجم المدينة الأولى في الدولة يساوى ١٠٠ %، فان حجم المدينة الثانية يساوى ٣٠% من هذا الحجم، وحجم المدينة الثالثة يساوى ٢٠% [١-١٨٨].

أما قاعدة الرتبة – الحجم، والتي تحاول التوصل إلى النظام المدني للإقليم أكثر من محاولتها معرفة مدى أهمية المدينة الأولى فيه – فتتلخص في أنه إذا عرف حجم المدينة الأولى في إقليم ما فان مرتبة أية مدينة في هذا الإقليم تحدد عدد سكان هذه المدينة، فإذا افترضنا أن حجم المدينة الأولى – الأكبر – في إقليم ما هو مليون نسمة، فان عدد سكان المدينة الثانية يكون ١ ÷ ٢ من هذا الحجم (نصف مليون نسمة)، وعدد سكان المدينة العاشرة هو ١ ÷ ١٠ منه أي ١٠٠ ألف نسمة [١-١٩٢ و٧-٢٩٦ و٥-٢٦٧].

وبالإضافة إلى قانون المرتبة الأولى و قاعدة المرتبة – الحجم فان هناك معايير أخرى لقياس هيمنة المدينة منها: مؤشر الأولوية primacy index الذي ينسب المدينة الأولى إلى مجموع أحجام المدن الثلاث التالية لها في الحجم [٧-٢٩٦].



الموضوع الثانى

خصائص النظام الحضري السودانى

يتسم النظام الحضري السوداني بالخلل وعدم التوازن إذ يوجد شــبه غيــاب للمــدن متوسطة الحجم، والتي يمكن أن تكون حائط صد يدفع النازحين بعيدا عن مدينــة الخرطــوم الكبرى وحاجزا بينها وبين ظهيرها، كما أصبح الفقر سمة ملازمة للمدن الــسودانية، الأمــر الذي أدى إلى ظهور السكن العشوائي وأحزمة الفقر poverty belts حول هذه المدن بدلا مــن النطاقات الخضراء green belts، وقرى الصفيح tin villages والكرتون بدلا مــن الــضواحي الحضرية العصرية suburbans، ويعكس الجدول التالي كثافات السكان في أقاليم السودان فيما بين عامي ١٩٧٣ و١٩٨٣:

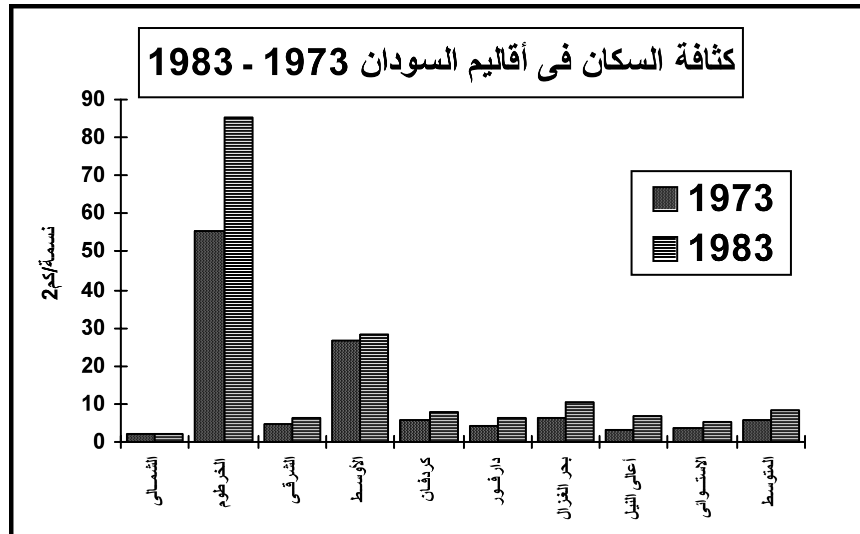
جدول رقم (١) كثافات السكان في أقاليم السودان ١٩٧٣-١٩٨٣

الإقليم/ العام	١٩٧٣	١٩٨٣	الإقليم/ العام	١٩٧٣	١٩٨٣
الشمالي	٢,٠	٢,٢	دارفور	٤,٤	٦,٢
الخرطوم	٥٥,٦	٨٥,٥	بحر الغزال	٦,٥	١٠,٦
الشرقي	٤,٦	٦,٥	أعالي النيل	٣,٤	٦,٨
الأوس-ط	٢٦,٨	٢٨,٣	الاستوائي	٣,٨	٥,٣
كردفان	٥,٨	٨,١	الس---ودان	٥,٩	٨,٦

عبد الحميد بله – سياسات التوزيع السكاني – ورقة مقدمــة إلــى مــؤتمر التنميــة الاجتماعية وترقية الخدمات بالعاصم-ة القومية -- الخرطوم -- بدون تاريخ – ص ٣.

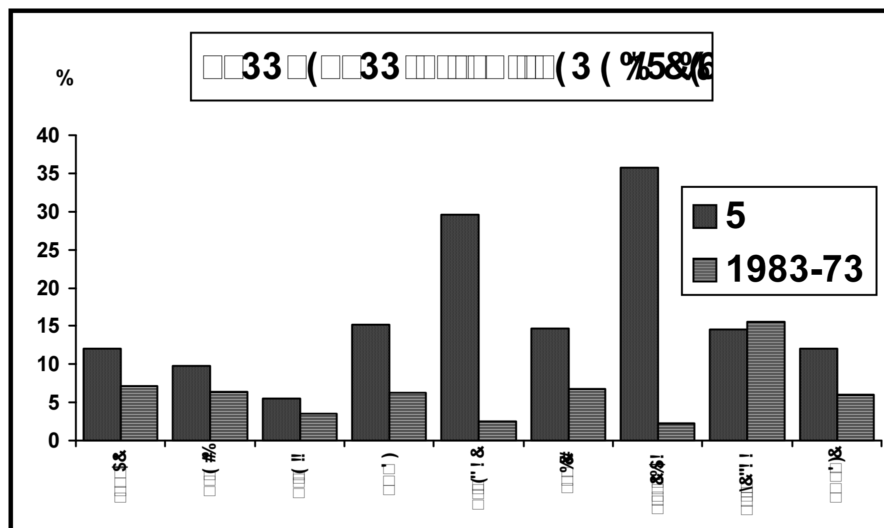
حيث يتضح أن الكثافة الخاصة بإقليم الخرطوم في عام ١٩٧٣ كانت تبلغ أكثر مــن مثل كثافة السكان في الإقليم الأوسط، وقدر كثافة سكان إقليم بحر الغزال بنحو تسعة أمثــال، ترتفع إلى ١٠ أمثال بالنسبة لإقليم كردفان، و نحو ١٣ مثلا بالنسبة للإقليم الــشرقي وإقلــيم دارفور، ونحو ٢٥ مثلا بالنسبة إلى الإقليم الشمالي، أما في عام ١٩٨٣ فقد كانت كثافة سكان إقليم الخرطوم تبلغ نحو ثلاثة أمثالها في الإقليم الأوسط، وثمانية أمثالها في إقليم بح-ر الغزال وثلاثة عشر مثلا في إقليم أعالي النيل، ونحو ثمانية وثلاثين مثلا في الإقليم الــشمالي [٧-٣]، شكل رقم (١) .





شكل رقم (١)

أما من حيث النمو الحضري فان معدلاته قد اتسمت بارتفاعها بوجه عـام، إذ بلغـت نحو ١٢% فيما بين عامي ١٩٥٦ و ١٩٧٣، و٦% فيما بين عامي ١٩٧٣ و ١٩٨٣، وهـذا يعنى أن معدل النمو الحضري العام كان نحو..٧٥% سنويا خلال الفترة الأولى [١٦ سنة]، ونحو..٦% سنويا خلال الفترة الثانية [١٠ سنوات]، شكل رقم (٢)، كـذلك فقـد ارتفـع نصيب مدينة الخرطوم من سكان حضر الدولة من نحو ٥١% في عام ١٩٥٦، إلى نحـو ٧٢ % في عام ١٩٧٣، ثم إلى نحو ٧٥% في عام ١٩٨٣ [49-19]، ويوضـح ذلـك الجـدول التالي:



شكل رقم (٢)

جدول رقم (٢) معدل النمو الحضري بالسودان ١٩٥٥ -- ١٩٨٣

الإقليم	النسبة المئوية للحضر %			معدل النمو الحضري %	
السنة	١٩٥٦	١٩٧٣	١٩٨٣	٥٥--٧٣	٧٣--٨٣
الخرطوم	٥٠,٥	٧١,٦	٧٤,٦	١٢,١	٧,١
الشرقي	١٥,٨	٢٦,٠	٢٨,٩	٩,٨	٦,٤
الشمالي	١٠,١	١٨,٥	٢١,٤	٥,٥	٣,٥
الأوسط	٧,٠	١٤,٣	٢٠,٩	١٥,٢	٦,٣
الاستوائي	٢,٤	١٨,٤	١١,٨	٢٩,٦	٢,٥
دارفور	٤,١	٩,١	١٥,٢	١٤,٧	٦,٨
بحر الغزال	١,٦	٩,١	٦,٤	٣٥,٧	٢,٢
أعالي النيل	١,١	٤,٦	٥,٤	١٤,٦	١٥,٦
السودان	٨,٣	١٨,٥	٢٠,٢	١٢,١	٦,٠

Ibrahim , S. , Theory and Ideology in Sudanese Urban Studies , in: Der Wel , P. V. , and Ahmed , A. M. , Perspectives on Development in The Sudan , The Hague , March , 1986 , p. 49.

كذلك يتبين من أرقام الجدول التالي أن ثلث سكان حضر السودان يقطنون الخرطوم الكبرى، وأن هيمنة هذه المدينة على المدينة الثانية – بور سودان، بالإضافة إلى المدن الأخرى، عملية ثابتة خلال التعدادات الثلاث، وأنه في التعداد الأخير ١٩٨٣ كان حجم مدينة الخرطوم يماثل ٦,٣ من حجم المدينة ١٩٥٦١؛ بور سودان – بعد أن كان ٤,٧ من حجمها في عام ١٩٥٦، و ٩,٨ من حجم المدينة الثالثة – ود مدني، ورغم أنه من الواضح أن كل المراكز الحضرية قد شهدت زيادة مطلقة في أحجامها السكانية إلا أن كلا من مدن: الخرطوم الكبرى ونيالا وجوبا هي التي تزايد الإسهام النسبى لكل منهما في حضر السودان خلال الفترة ١٩٥٦ – ١٩٨٣.



جدول رقم (٣) تطور سكان المراكز الحضرية الكبرى بالسودان ١٩٥٦-- ١٩٨٣ *

السنة	١٩٥٦		١٩٧٣		١٩٨٣	
المدينة	عدد	%	عدد	%	عدد	%
الخرطوم	٢٦٠٥٩٩	٢٩,٤	٧٨٤٢٩٤	٣٠,١	١٣٤٣٥٦٧	٣٢,٢
بور سودان	٥٤٦٧٦	٦,٢	١٣٢٦٣٢	٥,١	٢١٢٧٤١	٥,١
الأبيّض	٥٣٩٣٢	٦,١	٩٠٠٧٣	٣,٥	١٣٩٤٤٦	٣,٣
ود مدني	٥٠١٧١	٥,٧	١٠٦٧١٥	٤,١	١٤١٠٦٥	٣,٤
كس-لا	٣٩٧٨٤	٤,٥	٩٩٦٥٢	٣,٨	١٤٢٩٠٩	٣,٤
عطبرة	٣٦٥	٤,١	٦٦١١٦	٢,٥	٧٣٠٠٩	١,٨
واو	١٩٨٦٤	٢,٢	٥٢٧٥٠	٢	٥٨٠٠٨	١,٤
نيالا	١٣٩٨٢	١,٦	٥٩٥٨٣	٢,٣	١١٣٦٢٣	٢,٧
جوبا	١١٣٥٢	١,٣	٥٦٧٣٧	٢,٢	٨٥١٦٨	٢
ملكال	١١٢٦٤	١,٣	٣٤٨٩٤	١,٣	٢٢٧٣٨	٠,٨
السودان	٨٨٥٠٠٠	١٠٠	٢٦٠٦٠٠٠	١٠٠	٤١٦٦١٣٧	١٠٠

Abdel Rahman , B. , A. , The Urban Primacy of Greater Khartoum , in: Abu Sin , M., E. , and Davies , H. , R., J., eds. , The Future of Sudan 's Capital Region, Khartoum University Press , Khartoum , 1990 , p. 247.

٩%، عام ١٩٥٨ لم تكن توجد خطوط سكك حديدية بين الخرطوم وكل من دارفور والولايات الجنوبية، ولذلك فان المهاجرين الذين وفدوا إلى مدينة الخرطوم الكبرى قد استخدموا الطرق البرية والنهرية، وكلاهما مكلف ويتطلب وقتا طويلا، ولذلك كانت نسبة المهاجرين من إقليم دارفور إلى العاصمة في عام ١٩٦٢ ٧,٩%، ولكنها ارتفعت إلى ١٥,٧% – أي نحو الضعف – في عام ١٩٨٣.

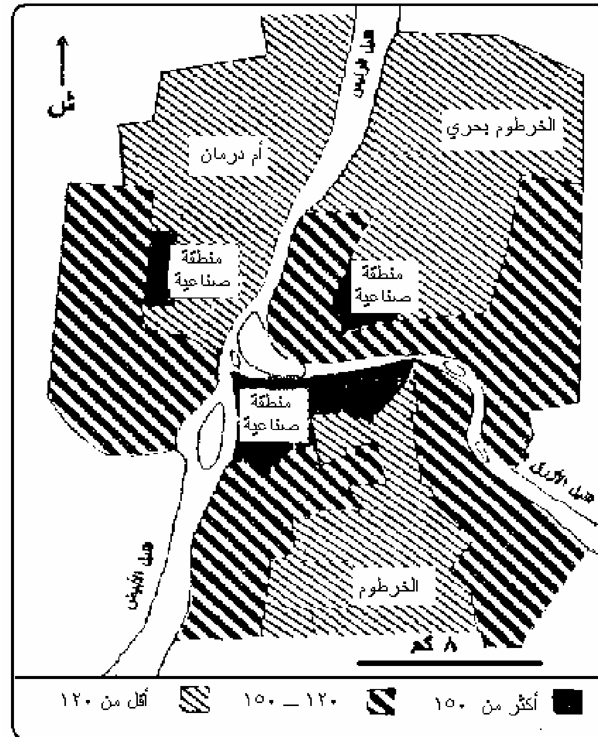
وبافتراض عجز مدينة الخرطوم الكبرى عن تقديم فرص العمل الكافية للنازحين إليها – وهى كذلك بالفعل – فانه من المتوقع استمرار نزوح هؤلاء السكان بالمعدل ذاته، مما يزيد من الهيمنة السكانية للمدينة، ويعنى الإخفاق في إصلاح التركيب الزراعي للدولة أن الفقر الريفي سوف يزيد من هذه الهيمنة، وهذا الوضع مع ضغط السكان الريفيين المتزايد سوف يدفع المزيد من المهاجرين المحتملين نحو العاصمة المزدحمة سلفا.

وبالإضافة إلى الهجرة الوافدة فان الزيادة الطبيعية قد بدأت في الإسهام في النمو السكاني للمدينة بنسبة كبيرة، ويبدو أنها سوف تسهم بدرجة أكبر خلال العقود القادمة، وهذا يعزى أساسا إلى الحقيقة المتمثلة في أن المهاجرين إلى العاصمة – والذين يتحولون إلى جزء من سكانها مع مرور الوقت – معظمهم من صغار السن الذين وفدوا إليها وهم في أعلى سنوات عمرهم خصوبة لأن معظمهم دون الثلاثين من العمر، فضلا عن كون معظمهم من



الذكور، وهو الأمر الذي رفع من معدلات الذكورة بين سكان المدينة بصورة غير معروفة في مدن السودان الأخرى، شكل رقم (٣)، مما يوحى بأنه حتى في حالة نجاح سياسات الحد من الهجرة إلى العاصمة – وهو أمر غير مؤكد – فان مشكلة النمو السكاني للمدينة سوف تستمر في البقاء بسبب الزيادة الطبيعية لسكانها، تلك الزيادة التى ارتفعت من ٢٥ في الألف في عام ١٩٧٣ إلى ٢٩ في الألف عام ١٩٨٣.

ومع ذلك فرغم أن الزيادة الطبيعية تضيف إلى الحجم السكاني للمدينة فان الهجرة الوافدة ستظل هي الحاسمة في هذا الصدد، ليس فقط بسبب إضافتها لنمو المدينة وإنما بسبب تأثيراتها العكسية على ظهير المدينة والذي هو بقية مناطق السودان الأخرى – بما يتضمنه من مناطق ريفية ومدن صغيرة أو حتى متوسطة الحجم – مما يؤدى إلى تغيير نمط مراكز العمران في الدولة على المدى البعيد ويزيد من هيمنة العاصمة، خاصة وأن سكان الريف النازحين إليها يتسمون باتجاههم نحو الخصوبة السكانية المرتفعة.

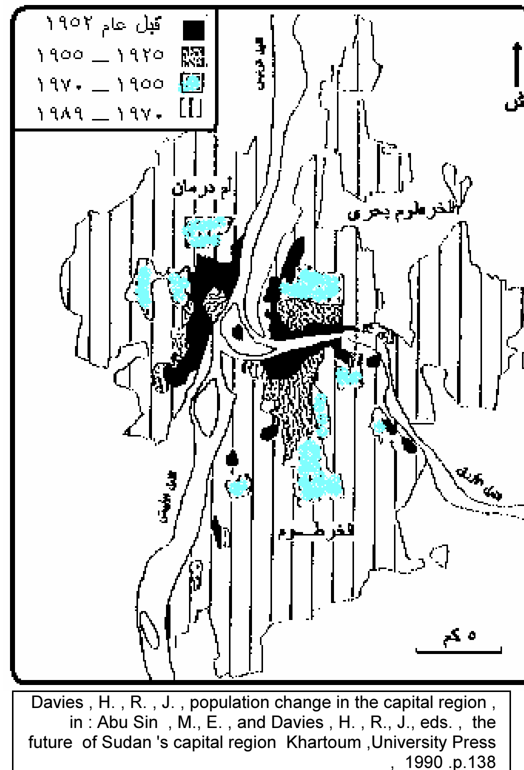


Davies , H. , R. , J. , population change in the capital region , in : Abu Sin , M., E. , and Davies , H. , R., J., eds. , the future of Sudan 's capital region Khartoum ,University Press , 1990 ,p.138

معدلات الذكورة في إقليم الخرطوم الكبرى الحضري ١٩٩٠
شكل رقم (٣)

وقد أدى كل من غياب التخطيط الشامل من ناحية، والأخطار البيئية التى تعرض لهـا السودان خلال السنوات السابقة، كالتصحر والجفاف والسيول والفيـضانات والمجاعـة ومـا أعقبها كلها من تحركات سكانية عبر أجزاء السودان المختلفة – خاصة من المناطق المتـأثرة إلى المدن الكبرى وعلى رأسها الخرطوم الكبرى – من ناحية أخرى إلى ظهور مناطق السكن العشوائي ونموها بدرجة كبيرة لدرجة أنها قد شغلت معظـم المـساحات حديثـة التخطـيط المخصصة لخطط الإسكان، حتى أن كل تضاعف لعدد سكان الحضر كان يصحبه تـضاعف مماثل في مساحات السكن العشوائي، التى تشغل نحو ٥٣% من مساحة المناطق المخططـة، ويكفى للتدليل على هذا الأمر أن نمو المدن الثلاث في الفترة ١٩٧٠ – ١٩٨٩ كـان يفـوق نموها منذ إنشائها وحتى عام ١٩٧٠ [٢–٢٨٥و٢٩٣]، شكل رقم (٤).

ولا تقتصر ظاهرة السكن العشوائي على مدينة الخرطوم الكبرى دون غيرها من مدن السودان وإنما توجد في العدي–د منها كبور سودان، ود مدني، الأبيض كوستي، القـضارف، نيالا، وحتى حلفا الجديدة، ولقد ظهرت هذه الظاهرة في مدينة الخرطوم بحـري فـي عـام ١٩٢٧م عندما أصبحت منطقة"ديوم" مكانا لبناء أكواخ" الخيش" و" الصفيح" – بيوت التنـك – وجذوع الأشجار، وفى أواخر الأربعينيات كانت منطقة" أمبده" مكانا لتجمع الرعـاة الرحـل" العرب" ثم تحولت إلى سوق للماشية مما شجع على استخدامها كمنطقة سكنية، أصبحت فيمـا بعد من أكبر مناطق السكن العشوائي بالعاصمة المثلثة.



Davies , H. , R. , J. , population change in the capital region , in : Abu Sin , M., E. , and Davies , H. , R., J., eds. , the future of Sudan 's capital region Khartoum ,University Press , 1990 .p.138

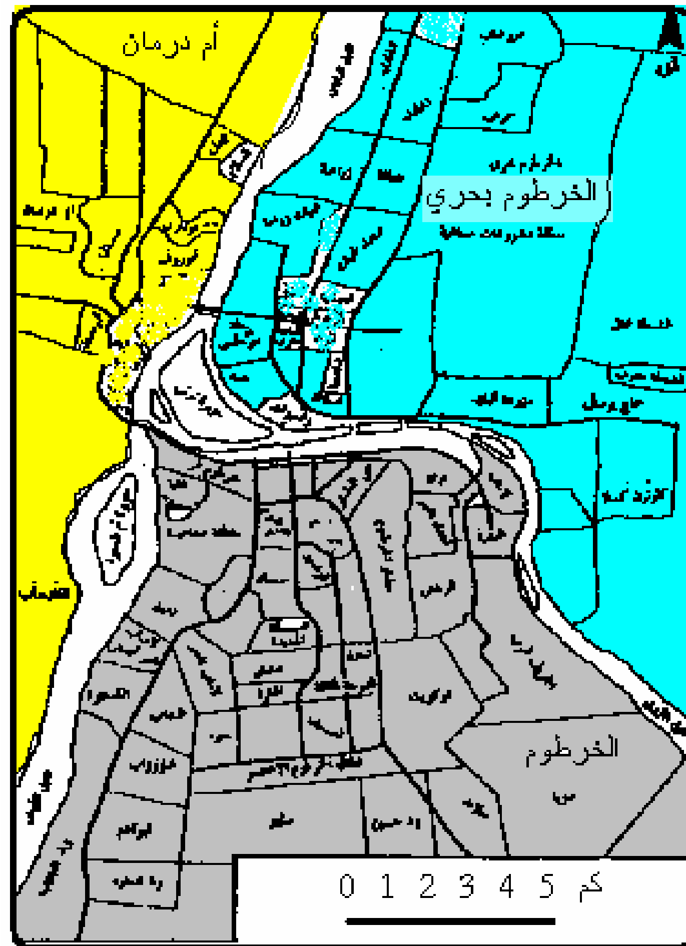
تطور المدن الثلاث ١٩٢٤/١٩٨٩شكل رقم (٤)

وعندما ارتفعت معدلات الهجرة الريفية صوب مدينة الخرطوم الكبرى مسببة أزمة سكنية في عام ١٩٦١ اضطرت الحكومة القائمة حينذاك لمواجهتها بتوزيع بعض قطع الأرض السكنية، ولكن معدل توزيع هذه القطع كان أقل من الطلب المتسارع على السكن، ومن ثم اتجه البعض إلى إقامة المساكن العشوائية حتى على أراض سبق تخطيطها وتخصيصها لتنفيذ خطط الإسكان الحكومية، ولذلك أدخلت منطقة أمبده وغيرها من المناطق الشبيهة بها كالجريف غرب، الحماداب، المنشية، الشجرة، شمبات، أبو سعد، وحلة كوكو في حدود البلديات وطبق عليها قانون المدن والقرى الصادر في عام ١٩٦١، وهو القانون الذي ساعد كثيرا في الحد من إقامة السكن العشوائي.

وعندما صدر قانون الحكم الشعبي عام ١٩٧١ ومنحت بمقتضاه المجالس الشعبية صلاحيات عديدة منها منح الأراضي السكنية وإيصال الخدمات كالكهرباء ومياه الشرب والصرف الصحي -

استخدم هذا القانون في خدمة أهداف سياسية داخلية فكان عاملا مساعدا على زيادة حدة البناء غير المشروع فظهرت مناطق عشوائية كبرى في: الكلاكلات والسلمة وأم القرى فاق عددها المئة منطقة بما فيها القرى التى تنمو حولها المباني العشوائية [13-2]، شكل رقم (٥).

شكل رقم (٥)

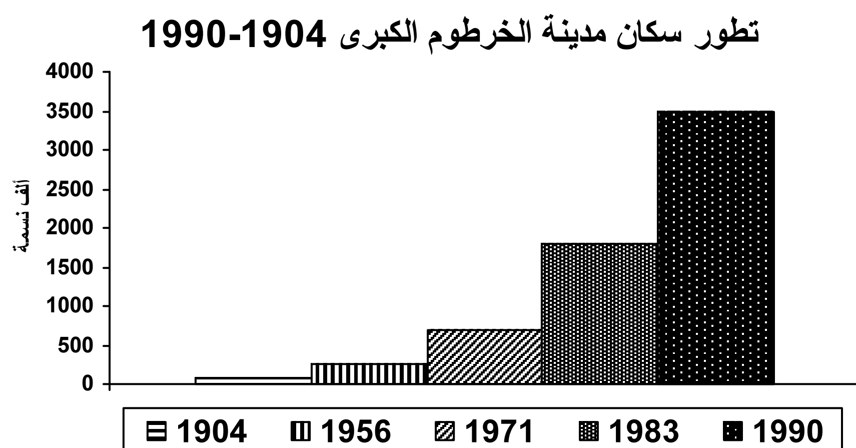


بلغت مساحة الخرطوم الكبرى نحو ٢٨ ألف كم٢، أي ما يعادل نحو ١% من مساحة جمهورية السودان وذلك في عام ١٩٩٠ الذي بلغ فيه عدد سكانها نحو ٣,٥ مليون نـــسمة، أو نحو ١١٩٨٣،جملة سكان الدولة في ذلك التاريخ، ولقد كان عدد سكان المدينة نحو ٨١ ألـــف نسمة في عام ١٩٠٤، وهو ما كان يمثل نحو ٤% فقط من سكان السودان، وفى عـــام ١٩٢٢ بلغ عددهم ٦٠ ألف نسمة، ارتفع إلى ١,٨ مليون نسمة في عام ١٩٨٣، أو نحـــو ٩% مـــن جملة سكان الدولة، وهو العام السابق لحدوث الجفاف والمجاعة، وبعد أقل من ســبع ســنوات تضاعف الرقم إلى نحو ٣,٥ مليون نسمة، وذلك كما يوضح الجدول التالي وشكل رقم (٦):

جدول رقم (٤) تطور عدد سكان مدينة الخرطوم الكبرى ونصيبها من سكان السودان ١٩٠٤ – ١٩٩٠

العام	١٩٠٤	١٩٥٦	١٩٧١	١٩٨٣	١٩٩٠
العدد	٨١٠٠٠	٢٥٠٠٠٠	٧٠٠٠٠٠	١٨٠٠٠٠٠	٣٥٠٠٠٠٠
%	٤,٠	٤,٩	٢,٥	٩,٠	١٨,٠

Davies , H. , R. , J. , Population Change in the Capital Region , in: Abu Sin , M., E. , and Davies , H. , R., J., eds. , The Future of Sudan 's Capital Region, Khartoum University Press , Khartoum , 1990 , p. 132.



شكل رقم (٦)

مناطق غير مخططة ١٩٨٢ امتداد عشوائي ١٩٨٨ ــ٨٢

Kheir , O. , M. , unauthorized settlement in -El
Greater Khartoum , in Abu Sin , M., E. , and
of Sudan 's Davies , H. , R., J., eds. , the future

شكل رقم (٧)

وقد بلغت مدينة الخرطوم مرحلة الهيمنة الحضرية جزئيا خلال الفترة الاستعمارية، ثم وصلت إلى وضعها الحضري المهيمن الحالي دون أن تمر بمرحلة التغير التدريجي، ولا تزال المدينة ضعيفة بنائيا، ولذلك، وبسبب ضعف قاعدتها الاقتصادية غير المتطورة فانه تعتبر مدينة بالتعريف الاداري وليس الوظيفي، تعانى من التحضر المفرط Over Urbanization [16-254].

ولقد أدى النمو السكاني غير المتوازن للمدينة إلى ضغوط متزايدة على بيئتها الحضرية تمثلت في: تدني شبكات الخدمات الاجتماعية والاقتصادية كالنقل والتعليم والرعاية الصحية والإسكان، والتي كانت أوضح نتائجها انتشار المناطق السكنية الرديئة، سواء أكانت"مدن صفيح" Shanties أو أحياء سكنية فقيرةSlum Areas، وقد قدر أن نحو ٢٥% من المباني التى تنشأ بها سنويا منذ عام ١٩٧٦ تنتمي إلى هذا النمط [16-254]، شكل رقم (٧).

وتنقسم مدينة الخرطوم الكبرى إلى عدة درجات من حيث نوعية الأرض هي: مناطق الدرجة الأولى، الثانية، الثالثة، الرابعة، والمناطق غير القانونية، حيــث تتــدرج الخــصائص السكنية في التحسن من مناطق الدرجة الثالثة إلى الثانية إلى الأولى، وهذه الخصائص هــي: مساحة المربعات السكنية plots، متانة المباني، ومستوى الخدمات، شكل رقم (٨)، ويوضح الجدول التالي هذه الدرجات:

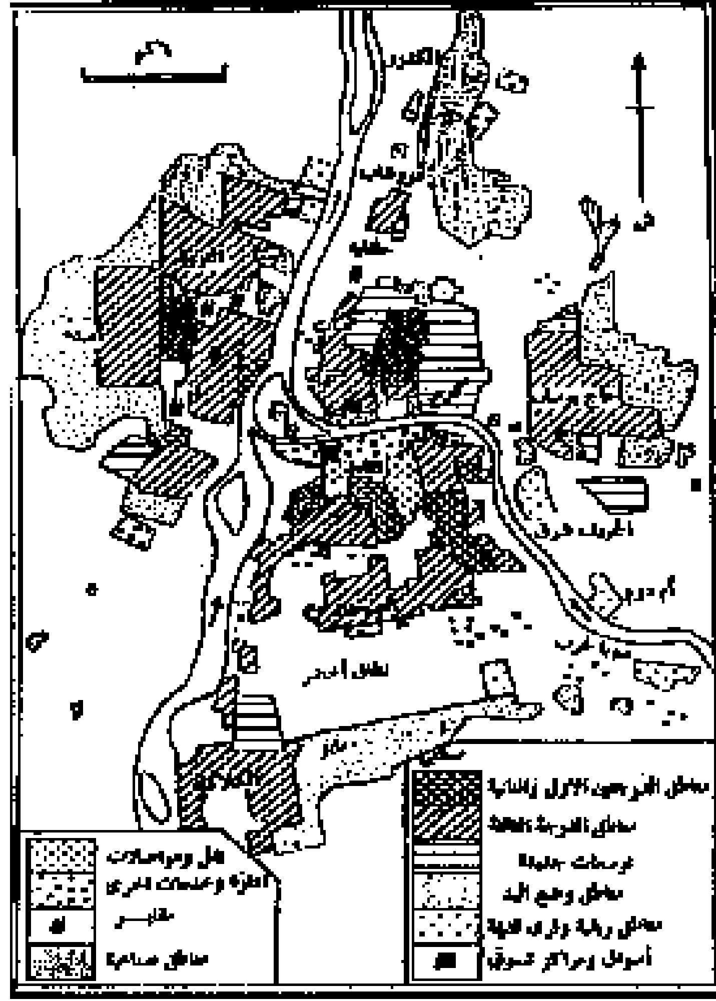
جدول رقم (٥) درجات استخدام الأرض السكنى بمدينة الخرطوم الكبرى ١٩٨٩

الدرج--ة (%)	الخرطوم	ام درمان	السودان الشمالى	الجملة
أولى وثانية	٤,٠	١,٨	٠,٢	٦,٠
ثالث----ة	١٧,٠	١٢,١	١١,٠	٤٠,٠
امتداد جديد	٢,٠	١,١	٧,٠	١٠,٠
عشوائي	١٠,٢	١٨,٠	١٦,٠	٤٤,٠
وضع ي--د	٣٣,٣	٣٢,٨	٣٤,٢	%١٠٠

Abdulla , M., and Abu Sin , M., E., Landuse in Sudan 's Capital City , in: Abu Sin , M., E. , and Davies , H. , R., J., eds. , The Future of Sudan 's Capital Region, Khartoum University Press , Khartoum , 1990, p.81.

وتظهر مدينة الخرطوم الكبرى كثيرا مــن أعــراض أمــراض الاســكان housing malaise التى تعانى منها مدن العالم الثالث ومنها الفجوة المتزايــدة بــين عــرض الاســكان والطلب عليه، الازدحام، عدم كفاية الخدمات الحضرية وعــدم كفاءتهــا، ارتفــاع ايجــارات المساكن، تدهورالظروف البيئية الحضرية، وانتشار المحلات العمرانية غير القانونيــة illegal وهى المناطق السكنية التى اقيمت على أراض غير مؤجرة unleased حول هوامش المدينــة، ويقدر عددها بتسع محلات يقطنها نحو ٣٣% من سكان المدن الثلاث، وتتوافق هذه المحلات مع المحلات العمرانية غير المخططة التى تتناثر على هوامش الخرطــوم الكبــرى [83-11]، راجع شكل رقم (٨).





Abdulla , M., and Abu Sin , M., E., Landuse in Sudan 's Capital City , in : Abu Sin , M., E. , and Davies , H. , R., J., eds. , The Future of Sudan 's Capital Region,

شكل رقم (٨)

وقد ازداد عدد سكان مدينة الخرطوم الكبرى فيما بين عامي ١٩٥٦ و١٩٨٣ بنحو ١,٥٥ عندما ازدادأي بمعدل ٢٣% سنويا خلال ٢٧ عاما، ولكن هذا المعدل قد انخفض في الفترة ١٩٨٣ –١٩٩٠ إلى نحو ١٣,٥% عندما ازداد هؤلاء السكان بنحو ١,٧ مليون نسمة أي بمعدل ١٦.فقط، نويا خلال سبع سنوات فقط، كما ارتفعت نسبة سكان المدينة إلى جملة سكان الدولة من ٤,٩% في عام ١٩٥٦ إلى ٨,٧% في عام ١٩٨٣ ثم إلى ١٨% في عام ١٩٩٠ كذلك ارتفعت نسبة السكان الحضر في إقليم الخرطوم الكبرى من نحو ٥٠% في عام ١٩٥٦ إلى نحو ٨١% في عام ١٩٩٠، ويوضح ذلك الجدول التالي:

جدول رقم (٦) تطور سكان مدينة الخرطوم الكبرى ٥٦ – ١٩٩٠

السنة	١٩٥٦	١٩٨٣	١٩٩٠
سكان المدينة % إلى جملة سكـان الدولة	٤,٩٠	٨,٧٠	١٨,٠
السكان الحضر % إلى جملة سكان الإقليم	٥٠,٤	٧٤,٤	٨١,١

Davies , H. , R. , J. , Population Change in The Capital Region , in: Abu Sin , M., E. , and Davies , H. , R., J., eds. , The Future of Sudan 's Capital Region, Khartoum University Press , Khartoum , 1990 , p.133.

وقد شهد إقليم العاصمة المثلثة تغيرا سكانيا كبيرا فيما بين تعـــدادي ١٩٥٦ و١٩٨٣، شكل رقم (٩)، تمثل في تناقص نسبتي سكان الريف وسكان البادية فيما بين هذين التعدادين وتزايد نسبة سكان الحضر، فقد تناقصت نسبة سكان الريف من ٣٩% في عـــام ١٩٥٦ إلـــى نحو ٢١% في عام ١٩٨٣، كما تناقصت نسبة سكان البادية فيما بين التاريخين المذكورين من نحو ١١ % إلى نحو ٤ %، بينما ارتفعت نسبة سكان الحضر من نحـــو ٥٠% إلـــى ٧٥%، ويوضح ذلك الجدول التالي:

جدول رقم (٧) التغير السكاني لإقليم الخرطوم الكبرى ١٩٥٥ – ١٩٨٣

السنة / المنطقة	١٩٥٥		١٩٧٣		١٩٨٣		الزيادة
	عدد *	%	عدد	%	عدد	%	%
الحضرية	٢٥٤	٥٠,٤	٧٨٤	٧١,٦	١,٣٤٤	٧٥	٤٢٩
الريفية	١٩٧	٣٩	٢٥٦	٢٣,٤	٣٧١	٢٠,٦	٨٩
ريفية – بدوية	٥٣	١٠,٦	٥٥	٥	٨٨	٤,٤	٦٦
الجملة	٥٠٥	%١٠٠	١٠٩٦	%١٠٠	١٨٠٢	%١٠٠	٢٥٧

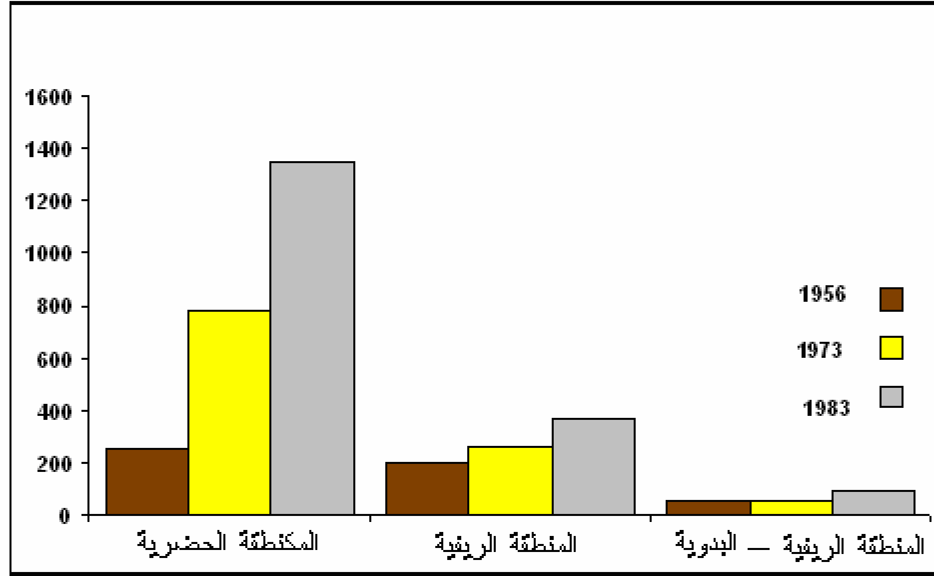
* ألف نسمة

Hag Ahmed , E., E., Rural Khartoum Development Systems , in: Abu Sin , M., E. , and Davies , H. , R., J., eds. , The Future of Sudan 's Capital Region , Khartoum University Press , Khartoum , 1990 , p.91.

وقد ارتفع عدد سكان حضر إقليم الخرطوم الكبرى من ٢٥٤ ألف نسمة يمثلون نحـــو ٥٠% من سكان الإقليم في عام ١٩٥٥ إلى نحو ١,٣٤ مليون نسمة تمثل١٩%،من سكانه في عام ١٩٨٣، بزيادة قدرها نحو مليون نسمة خلال نحو ربع قرن، وبنسبة نمو قدرها ٤٢٨%، وهذه الفترة هي التى شهدت ارتفاع عدد سكان حضر السودان الشمالي من ٨٠٥ ألف نـــسمة تمثل ١١% من جملة سكانه إلى نحو ٢,٩ مليون نسمة تمثل ١٩%، بنسبة نمو قـــدرها نحـــو ٢٦٠% فيما بين التعدادين المذكورين، والتي شهدت أيضا ارتفاع عدد سكان حضر الـــسودان ككل من ٨٥٤ ألف نسمة تمثل ٨% من جملة سكان الدولة إلى نحو ٤,٢ مليون تمثل ٢٠%، بنسبة نمو قدرها نحو ٣٩٠%، ويتضح من ذلك أن معدل نمو سكان حضر إقلـــيم الخرطـــوم



الكبرى قد فاق نظيريه في كل من السودان الشمالي والسودان ككل فيما بين عـــامي ١٩٥٥ و ١٩٨٣، ويوضح ذلك الجدول التالي:



تطور سكان مناطق مدينة الخرطوم الكبرى ١٩٥٦ ـ ١٩٨٣

شكل رقم (٩)

جدول رقم (٨) نمو سكان حضر إقليم
الخرطوم الكبرى مقارنا بالسودان الشمالي والسودان ككل ١٩٥٥ – ١٩٨٣

الإقليم / السنة	العاصمة	% *	الشمالي	% *	الجملة	% *
١٩٥٥	٢٥٤	٥٠	٨٠٥	١١	٨٥٤	٨
١٩٨٣	١٣٤٣	٧٥	٢٨٨٩	١٩	٤١٥٤	٢٠
الزيادة [نسمة]	١٠٨٩	٤٢٨	٢٠٤٨	٢٥٩	٣٣٠٠	٣٨٦

* من سكان الإقليم

Hag Ahmed , E., E., Rural Khartoum Development Systems , in: Abu Sin , M., E. , and Davies , H. , R., J., eds. , The Future of Sudan 's Capital Region , Khartoum University Press , Khartoum , 1990 , p.88.

والى جانب صافى الهجرة فقد أضافت الزيادة الطبيعية لسكان المدينــة إلــى نموهــا السكاني، فقد تزايد هؤلاء السكان ثلاث مرات خلال ١٥ عاما، فـــي حـــين تـــضاعف عـــدد السودان ككل مرة واحدة خلال نحو ٣٠ عاما (١٩٥٥ – ١٩٨٣) مما يدل على ارتفاع نصيب المدينة من نازحي السودان، وهذا النمو الانفجاري رفع من معدلات البطالة ومن تدهور البيئة الحضرية سواء بالنسبة للمدينة أو للمدن الأخرى من ناحية، أو بالنسبة لمناطق الهوامش مـــن ناحية أخرى، ويوضح الجدول التالي نصيب الزيادة الطبيعية وصافى الهجرة في نمو ســـكان المدينة المثلثة خلال الفترة المذكورة:

جدول رقم (٩) تطور سكان معتمدية الخرطوم ١٩٥٦ – ١٩٨٣

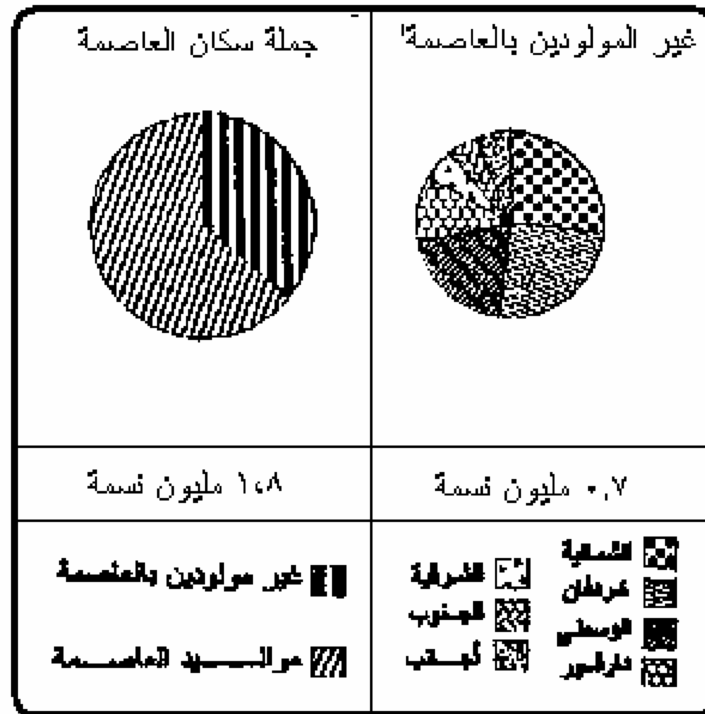
الس---كان	الخرطوم	ام درمان	بحرى	المدن الثلاث	اخرى	الجملة
السكان ١٩٥٦	٩٥,٠	١١٦,٢	٤٠,٢	٢٥١,٩	٢٥٣,٠	٥٠٤,٩
الزيادة الطبيعية	٣٤,٠	٣٩,٠	١٦,٠	٨٩,٠	٧١,٧	١٦٠,٧
صافى الهجرة	٤٤,٠	٣٠,٢	٢٣,٨	٩٨,٠	٥٠,٧	٤٧,٣
السكان ١٩٦٦	١٧٨,٥	١٨٥,٠	٨٠,٠	٤٣٨,٩	٢٧٤,٠	٧١٢,٩
الزيادة الطبيعية	٤٤,١	٩٣,٨	٢٢,١	١١٠,٠	٥٤,٣	١٦٤,٣
صافى الهجرة	١٣١,٠	٧١,٣	٤٨,٠	٢٥٠,٨	١٥,٥	٢٥٣,٣
السكان ١٩٧٣	٢٤٩,١	٣٠٠,٥	١٥٠,١	٧٩٩,٧	٣١٨,٢	١١١٢,٥
الزيادة الطبيعية	٢٠٨,٣	٣٤٨,٢	١٩١,١	٧٤٧,٥	٦٣,١	٧٨٩,٨
صافى الهجرة	--	--	--	--	--	--
السكان ١٩٨٣	٥٥٧,٤	٦٤٨,٧	٣٤١,١	١٥٤٧,٢	٢٥٥,١	١٨٠٢,٣

Hag Ahmed , E., E., Rural Khartoum Development Systems , in: Abu Sin , M., E. , and Davies , H. , R., J., eds. , The Future of Sudan 's Capital Region , Khartoum University Press , Khartoum , 1990, p.88.

ورغم أن السودان يعتبر من الدول الأقل حضرية حتى بالمقاييس الأفريقيـــة – ٢٢% في عام ١٩٩١ بالمقارنة بزامبيا ٥١% أو بمصر ٤٧% – على سبيل المث–ال، إلا أنه مـــن المتوقع أن يصل عدد سكان عاصمته إلى نحو ٨ مليون نسمة بحلول عام ٢٠٣٥ [3-21].

وترجع أصول سكان المدن الثلاث إلى منطقة السودان الـــشمالي، خاصــــة مدينــــة أم درمان التى يرجع أصل ٨٣% من سكانها إلى هذه المنطقة، أما مـــدينتي الخرطـــوم بحـــرى والخرطوم فتبلغ هذه النسبة ٧٤% و ٧٠% على التوالي وهذا يعنى أن أصول معظم ســـكان إقليم الخرطوم الكبرى الحضري [٧٥ %] ترجع إلى منطقة السودان الشمالي كمـــا يوضـــح الجدول التالي [1-13] شكل رقم (١٠):





Davies , H. , R. , J. , population change in the capital region , in : Abu Sin , M., E. , and Davies , H. , R., J., eds. , the future of Sudan 's capital region Khartoum ,University Press , 1990 .

أصول سكان إقليم الخرطوم الكبرى ١٩٨٣
شكل رقم (١٠)

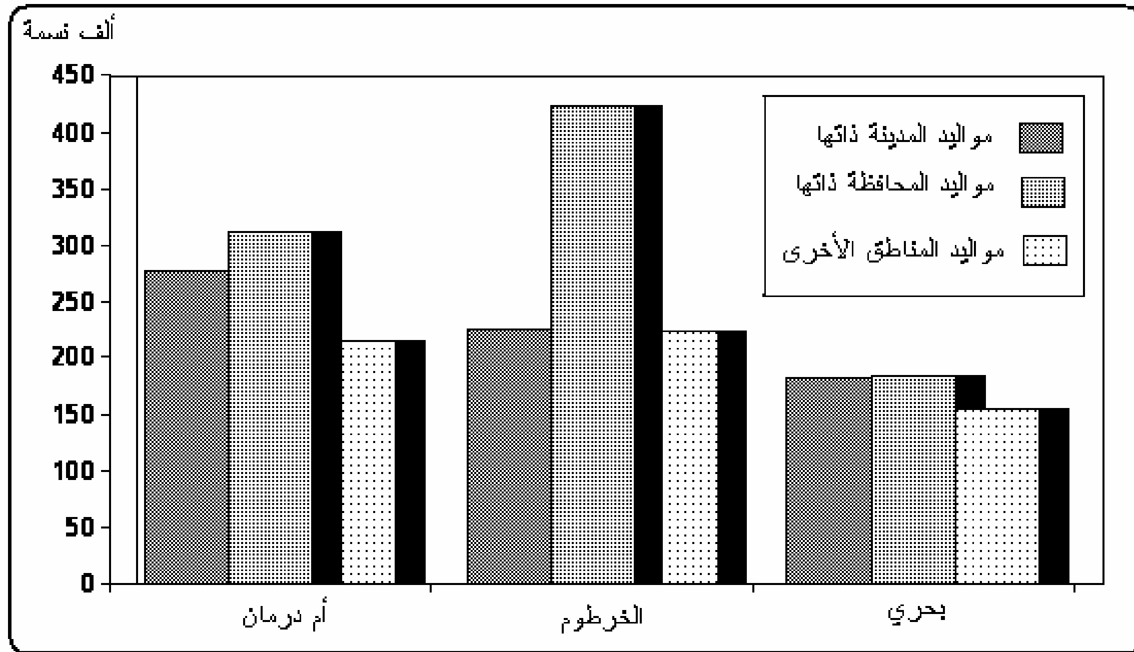
جدول رقم (١٠) سكان الخرطوم الكبرى حسب أماكن ميلادهم

السكان	العدد	مواليد المدينة		مواليد المحافظة		اخرى	الجملة
المدينة	ألف نسمة	عدد	%	عدد	%	عدد	%
ام درمان	٥٢٦	٢٧٨	٥٣	٣١١	٥٩	٢١٥	٤١
الخرطوم	٤٦٦	٢٢٦	٤٨	٤٢٤	٥٢	٢٢٤	٤٨
الخرطوم بحرى	٣٣٩	١٨٢	٥٤	١٨٥	٥٥	١٥٤	٤٥
المدن الثلاث	١٣٣١	٦٨٦	٥٢	٧٣٨	٥٥	٥٩٣	٤٥

Davies , H. , R. , J. , and Abu Sin , M., E. , the heart of Sudan , in: Abu Sin , M., E. , and Davies , H. , R., J., eds. , The Future of Sudan 's Capital Region , Khartoum University Press , Khartoum , 1990 , p 138.

ورغم أن المدينة كانت هدفا للمهاجرين من شتى أرجاء السودان منذ إنشائها تقريبـا، إلا أن النزوح إليها قد ازداد بدرجة أسرع منذ ع–ام ١٩٨٣، وقد أظهر التعداد الذي أجـرى في ذلك العام أن أكثر من ٦٤٠ ألف نسمة -- يمثلون نحـو ٤٨% مـن سـكان منطقتهـا الحضرية -- لم يكونوا من مواليدها، شكل رقم (١١) وذلك بسبب ما يوجد بها من تسهيلات اقتصادية واجتماعية قل أن تتوافر في مناطق السودان الأخرى.





سكان مدينة الخرطوم الكبرى حسب أماكن الميلاد
شكل رقم (١١)

فعلى سبيل المثال كانت المساكن المضاءة بالكهرباء تمثل ٦٦ % من عدد مساكن حضر معتمدية الخرطوم – إقليم الخرطوم الكبرى – في عام ١٩٧٩، بينما كانت نسبتها ١٤ % على مستوى السودان ككل، كما كانت نسبة المساكن التي بها صنابير مياه الشرب تمثل ٧٧ % من مساكن حضر المعتمدية، في حين كانت نسبتها ٢٢% على مستوى الدولة، ويعكس الجدول التالي بعض هذه التسهيلات:

جدول رقم (١١) تسهيلات الإسكان في معتمدية الخرطوم مقارنة بالسودان ١٩٧٩

التسهيلات		المعتمدية %		السودان
		حضر	ريف	%
الإضاءة	الكهرباء	٦٦	١	١٤
	الكيروسين	٣٢	٩٨	٦١
	وسائل اخرى	١	١	٢٥
	كهرباء وكيروسين	١٨	١	٤
وقود الطهي	فحم نباتي	٧٧	٥٨	٣٨
	أخشاب وأعشاب وغيرها	٤	٤٧	٥٧
مياه الشرب	صنبور [داخل المنزل]	٧٧	١	٢٢
	صنبور [خارج المنزل]	٢١	١٦	١٩
	آبار	--	٨٢	٣١
	مجارى مائية وأنهار وغيرها	٢	٢	٢٨

التسهيلات		المعتمدية %		السودان
		حضر	ريف	%
صرف صحي	مرحاض خاص [ماء دافق]	١٥	٢	٢
	مرحاض خاص [حفر]	٧٤	٦٣	٣٤
	وسائل اخرى	١١	٣٥	٢٦
الكثافة	المتوسط ٥,١ نسمة/غرفة	٣,٠٥	٣,٠٩	٢,٨٤

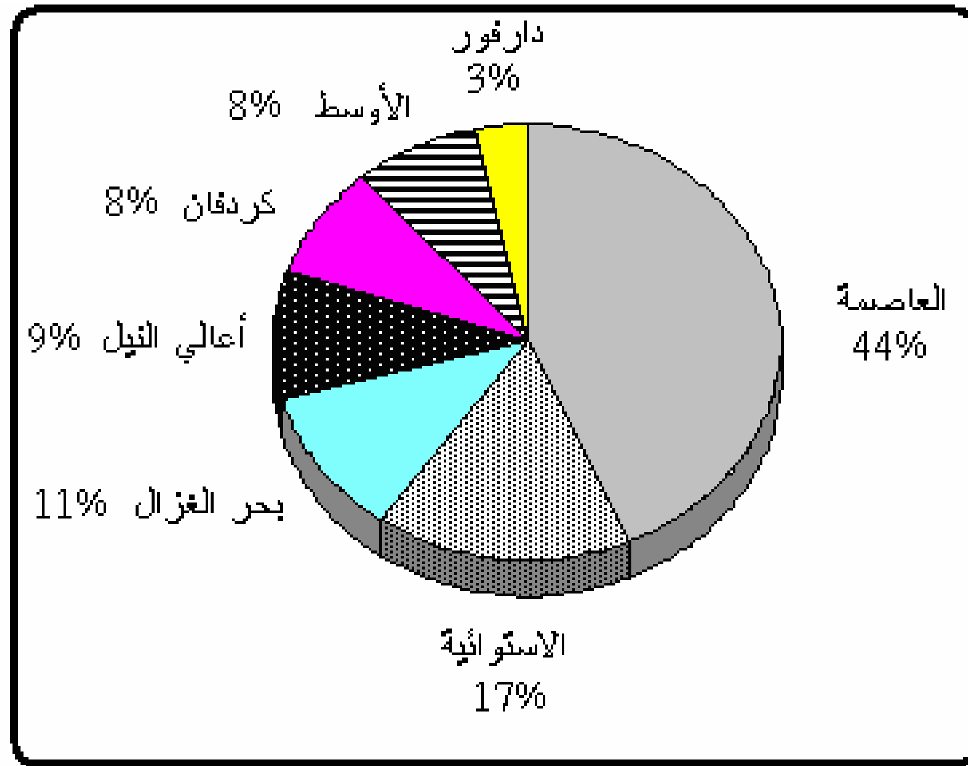
Davies , H. , R. , J. , Population Change in The Capital Region , in: Abu Sin , M., E. , and Davies , H. , R., J., eds. , The Future of Sudan 's Capital Region , Khartoum University Press , Khartoum , 1990 , p p.132.

ولقد أصبح وفود المهاجرين إلى المدينة أكثر خطورة بزيادة النزوح من مناطق جنوب السودان حيث الحرب الأهلية، وهو الوفود الذي أصبح مضطردا ومنتظما منذ عــام ١٩٨٦، ولق--د سجل"مكتب إغاثة بحر الغزال" خروج ٩٠ ألف نازح نحو الشمال فيما بين شـــهري يونيو ١٩٨٦ ويوليو ١٩٨٧، وفى تقدير آخر بلغ عدد النازحين الذين سجلتهم" منظمة الإغاثة وإعادة التأهيل السودانية" في شهر يونيو ١٩٨٥ نحو ١,٣٥٠٠٠٠ نازح، اســتقر نحــو ٦٠٠ ألف منهم – أكثر من ٤٥% – في إقليم العاصمة، حيث اتجهوا نحو الإقليم بــصورة عفويـــة spontaneously بعد أن أجبروا على ترك مواطنهم الأصلية إلى المدينة المثلثة دون التوقـف في مكان آخر بحثا عن: الأمن والطع–ام والمأوى والعمل [15-177].

أما في مناطق غرب السودان فلقد ازداد وفود السكان إلى العاصمة المثلثة منــذ عــام ١٩٨٣ بسبب" قوة دفع" إجبارية، إذ كان ذلك العام هــو بدايـــة فتــرة: الجفــاف والتــصحر والمجاعة، التى دفعت جزءا كبيرا من سكان غرب السودان إلى الحركة جنوبا -- حيث الماء والمطر والمرعى، وشرقا نحو عاصمة الدولة حيث الحياة الأكثر استقرارا، ومن ثــم كانــت منطقة الخرطوم الكبرى مركز التجمع الاساسى لهؤلاء السكان [٣–٢٥٠ و 14-257]، شــكل رقم (١٢)، ويقدر عدد السكان الذين تحركوا من اقليمى كردفان ودار فور في عــام ١٩٨٤ بنحو ١٢٠ ألف نازح بيئي.

ولقد استقر النازحون إلى مدينة الخرطوم الكبرى في ٢٣ موضعا سكنيا تتطابق مــع المناطق غير المخططة في المدينة، حيث تتواجد عشرون من منظمات الإغاثـــة مــن أجــل إمدادهم بالتسهيلات الأساسية بقدر الإمكان، ومن ناحية اخرى فانه يوجــد عــدد آخــر مــن النازحين الذين اتجهوا إلى داخل المناطق الأخرى بالمدينة للإقامة مع أقربائهم، راجع شــكل رقم (٧).





السكان النازحون في السودان يونيه ١٩٨٩

شكل ١٢

ويعيش معظم النازحين على حافة المجاعة، إذ يتحصلون على دخول نقدية قليلة وغير منتظمة لأنهم ليس لديهم ما يؤهلهم للحصول على الحق القانوني للبقاء في العاصمة من أجل العمل، ولذلك فإنهم يتكسبون من خلال العمل"الاتفاقى" في أعمال ضئيلة الاجور.

وفى مسح ميداني أجرى بين نازحي جنوب السودان قرر بعضهم أن أسباب نزوحهم كانت: الحرب الأهلية ٤٩% والنزاعات القبلية ٢٣%، والبطالة٢٢% *[257-14]، ويوضح الجدول التالي السكان النازحين في السودان عام ١٩٨٩

جدول رقم (١٢) توزيع نازحي السودان على مناطقه المختلفة يونيو ١٩٨٩

الإقليم	العدد	%	الإقليم	العدد	%
العاصمة	٦٠٠٠٠٠	٤٣,٤	كردفان	١١٤٠٠٠	٨,٢
الاستوائية	٢٢٥٠٠٠	١٦,٣	الأوسط	١١٣٠٠٠	٨,٢
بحر الغزال	١٥٥٠٠٠	١١,٢	دارفور	٤٥٠٠٠	٣,٣
أعالى النيل	١٣٠٠٠٠	٩,٤	الجملة	١٣٨٢٠٠٠	١٠٠

Abdel Rahman , B. , A. , The Urban Primacy of Greater Khartoum , in:Abu Sin , M., E. , and Davies , H. , R., J., eds. , The Future of Sudan's Capital Region , Khartoum University Press , Khartoum 1990 , p. 246.



وتعرف عاصمة السودان ظاهرة ألأطفال المشردين ** وهؤلاء الأطفال معظمهم من الذين فروا من مناطق المجاعة والجفاف في الغرب [٤٦%] أو مناطـق الحرب الأهلية في الجنوب [٣١%]، ويوضح الجدول التالي مناطق وفود هؤلاء الأطفال:

جدول رقم (١٣) مناطق وفود الأطفال المشردين في مدينة الخرطوم الكبرى ١٩٧٨ – ١٩٨٨

المنطقة %	١٩٨٧	١٩٨٥	١٩٨٨	المنطقة %	١٩٨٧	١٩٨٥	١٩٨٨
العاصمة	٩,٠	١٤,١٧	٨,٠	الغربية	٤٨,٦٧	٤٥,٤٢	٤٦,٠
الشمالية	١,٣٣	٣,٢٥	--	الجنوبية	١٥,٦٧	١٨,٦٧	٣,٧
الشرقية	٤,٣٣	١,٣٣	٣,٣	أجانب	٦,٣٣	٢,٣٣	١,٠
الوسطي	١٤,٦٧	١٤,٨٣	١١,٠				

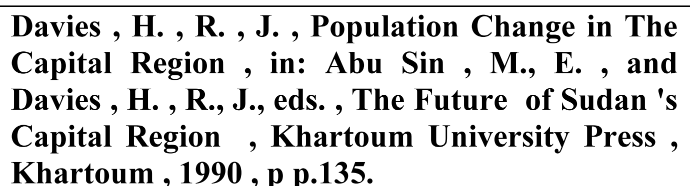
Abdel Rahman , B. , A. , The Urban Primacy of Greater Khartoum , in:Abu Sin , M., E. , and Davies , H. , R., J., eds. , The Future of Sudan's Capital Region , Khartoum University Press , Khartoum 1990 , p. 246.

* تتمثل الأنشطة الاقتصادية لهؤلاء النازحين في ما يعرف" بالمهن الطفيلية" كالتجارة البسيطة وتنظيف السيارات أو بيع الشاي والسجائر للمارة في الشوارع، وأحيانا بعض الأعمال غير القانونية كصناعة الخمور الرديئة.

** ويطلق عليهم اصطلاح أطفال الشوارع أو" الماسة" لأنهم يتعرضون دوما لأشعة الشمس، والذين يهيمون على وجوههم في الشوارع بلا مأوى ويقضون الليل في الأماكن الخربة أو حتى في الحفر الطولية المخصصة لتصريف مياه الأمطار والسيول.

ولقد ارتفع عدد سكان المدينة المثلثة ارتفاعا كبيرا فيما بـين عـامي ١٩٨٣و١٩٩٠، شكل رقم (١٣)، لدرجة أن تعداد عام ١٩٩٠ كان عليه أن ينشىء فئة جديدة من فئات مراكز العمران هي فئة" معسكرات النازحين displaced camps"، ويوضح ذلك الجدول التالي:




Davies , H. , R. , J. , Population Change in The Capital Region , in: Abu Sin , M., E. , and Davies , H. , R., J., eds. , The Future of Sudan 's Capital Region , Khartoum University Press , Khartoum , 1990 , p p.135.

التغير السكاني في إقليم الخرطوم الكبرى ٨٣ – ١٩٩٠
شكل رقم (١٣)

جدول رقم (١٤) التغير السكاني في إقليم الخرطوم الكبرىالحضرى ١٩٨٣ – ١٩٩٠

المنطقة	السنة / نسمة		التغير
	١٩٨٣	١٩٩٠	%
حضر ام درمان	٥٢٦١٨٦	١١٢٥٥٤٩	١١٤
ريف ام درمان	١٢٢١٣١	٢٠٤١٣٥	٦٧
الجملة	٦٤٨٣١٧	١٤٣٧٩٥٠	١٢٢
حضر الخرط–وم	٤٧٥٩٦٦	٧٩٦٩٦٩	٦٧
ريف الخرطوم	٨٢٧٩١	١٨١٦٤٠	١١٩
الج--------ملة	٥٥٨٧٥٧	١١٤٧٦٦٩	٩٩



المنطقة	السنة / نسمة		التغير
	١٩٨٣	١٩٩٠	%
حضر الخرطوم بحرى	٣٤١١٤٦	٦٠٥٨٥٦	٧٨
ريف الخرطوم بحرى	٢٥٥٠٠٢	٢٩٥٥٩١	١٦
الجملة	٥٩٤٧٧٦	١٠٢٦٩١٩	٧٣
معسكرات النازحين / ام درمان	–	١٠٨٢٢٦	–
معسكرات النازحين / الخرطوم	–	١٦٩٠٦٠	–
معسكرات الن–ازحين /بحرى	–	١٢٥٤٧٢	–
جملة إقليم العاصمة	١٨٠١٨٥٠	٣٦١٢٥٣٨	١٠٠

Abdel Ati , H. , A. , Child Vagrancy in The National Capital , in: in:Abu Sin , M., E. , and Davies , H. , R., J., eds. , The Future of Sudan's Capital Region , Khartoum University Press , Khartoum 1990 , p. 170.

الذي يتبين من بياناته أن مدينة أم درمان كانت هي المدينة التى شهدت أكبر زيادة سكانية، خاصة مناطقها الحضرية، وتشبهها في ذلك مدينة الخرطوم بحرى، أما مدينة الخرطوم فقد تركزت هذه الزيادة في مناطقها الريفية – منطقة جبل الأولياء، ولقد كانت هذه الزيادة في حقيقتها تضخم حضري لجأ إلى المناطق الريفية وهو ما تكرر في مدينة أم درمان.

ويتركز النمو السكاني الكبير في الأطراف الحضرية للمدن الثلاث وفى بعض المناطق المأهولة بدرجة غير جيدة في مناطقها الداخلية، وإذا كان الوافد الجديد إلى المدينة المثلثة يستقر أولا في أطرافها فان الأمر قد ينعكس في بعض الأحوال، فقد أثبتت إحدى الدراسات المسحية عن منطقة أمبدة – غرب مدينة ام درمان – أن العديد من سكانها قد جاءوا من أجزاء وسطي في المدن الثلاث، وكان ذلك قبل التدفق الأخير لسكان مناطق السودان الجنوبية والغربية نحو العاصمة، وتدل الزيادة السكانية حول الإطراف الحضرية لمدينة أم درمان على التدفق السكاني الكبير من اقليمى كردفان ودارفور، ويوضح الجدول التالي تطور سكان وإسكان المدينة المثلثة عام ١٩٨٣.



جدول رقم (١٥) السكان والاسكان في حضر وريف مدينة الخرطوم الكبرى ١٩٨٣

المدينة/ العناصر	البند	حضر	ريف	بدو	جملة
الخرطوم	سكان	٤٧٦٢١٨	٨١١٣٣	--	٥٥٧٣٥١
	اسكان	٧٥٢١٣	١٣٣٤٢	--	٨٨٥٥٦
ام درمان	سكان	٥٢٦٢٨٧	٨٦٦٦٣	٣٥٧٥٠	٦٤٨٧٠٠
	اسكان	٨٢٢٨١	١٦٢٤٨	٨٩٨٧	١٠٧٥١٦
الخرطوم بحرى	سكان	٣٤١١٤٦	--	--	٣٤١١٣٦
	اسكان	٥٤٠٧٨	--	--	٥٤٠٧٨
المدن الثلاث	سكان	١٣٤٣٦٥١	١٦٧٧٩٦	٣٥٧٥٠	١٥٤٧١٩٧
	اسكان	٢١١٥٧٣	٢٩٥٩٠	٨٩٨٧	٢٥٠١٥٠
بقية المعتمدية	سكان	--	٢٠٢٨٥٢	٥٢٢٥٠	٢٥٥١٠٢
	اسكان	--	٣٤٨٣٤	١٣٠١٣	٤٧٨٤٧
جملة المعتمدية	سكان	١٣٤٣٦٥١	٣٧٠٦٤٨	٨٨٠٠٠	١٨٠٢٢٩٩
	اسكان	٢١١٥٧٣	٦٤٤٢٤	٢٢٠٠٠	٢٩٧٩٩٧

Abdel Rahman , B. , A. , The Urban Primacy of Greater Khartoum , in:Abu Sin , M., E. , and Davies , H. , R., J., eds. , The Future of Sudan's Capital Region , Khartoum University Press , Khartoum 1990 , p. 247.



الموضوع الثالث

أسس الهيمنة الحضرية لمدينة الخرطوم الكبرى ونتائجها

من الصعوبة بمكان فصل أسباب الهيمنة الحضرية لمدينة الخرطوم الكبرى أو أسسها عن نتائج أو تأثيرات هذه الهيمنة، وذلك بسبب الطبيعة المعقدة والتداخل الواضح بين هذه الأسباب وتلك النتائج: فنزوح السكان من شتى أنحاء السودان إلى مدينة الخرطوم الكبرى عملية مستمرة يحركها كل من العوامل الحقيقية والعوامل المتخيلة، وهى العوامل التى تعكس مجتمعة الدور القائد leading للمدينة بالمقارنة بغيرها من مدن السودان من ناحية، وبأقاليم الدولة الأخرى من ناحية اخرى، وللهجرة إلى إقليم الخرطوم الكبرى الحضري نتائج اقتصادية واجتماعية وسياسية وإدارية، تنعكس عليه كقلب للدولة core وعلى بقية مناطق النزوح بما فيها المدن الأخرى كهوامش لهاperipheries .

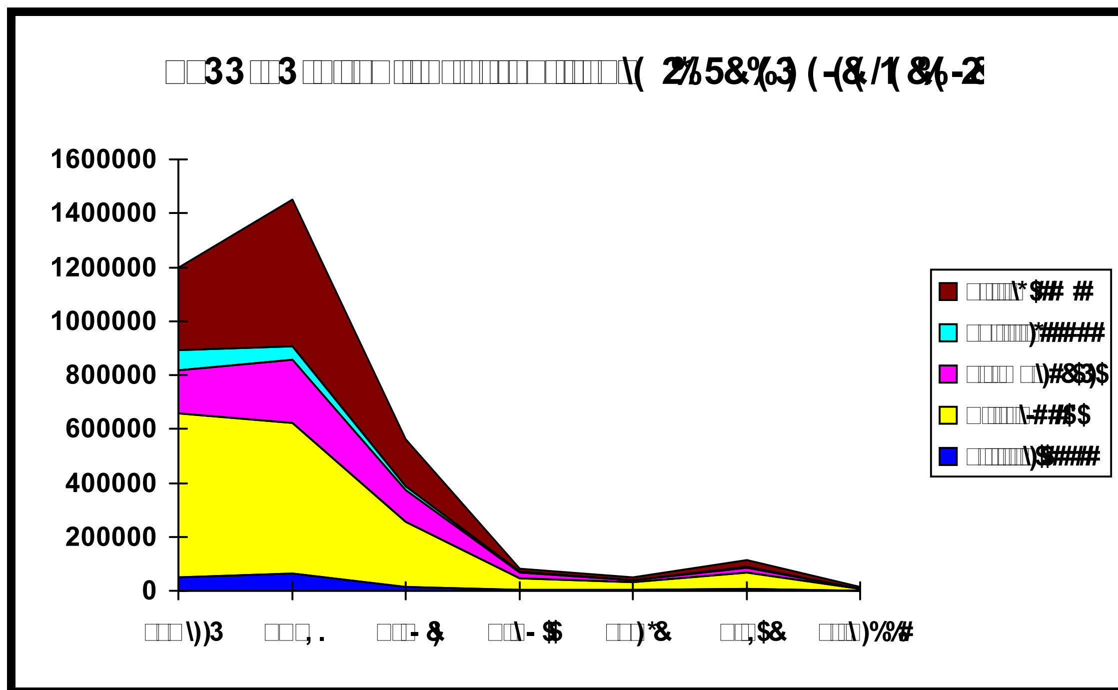
الاسس والنتائج الاقتصادية

تعتبر عملية إدراك طبيعة الهيمنة الحضرية للخرطوم الكبرى – كمدينة السودان الأولى primate city – على ظهيرها دون دراسة للعلاقات الاقتصادية بينهما عملية غاية في الصعوبة، إذ تتميز المدينة بوضع فريد ومميز بالنسبة لكل السودان إقليميا وقوميا، فهي أكبر المناطق المتروبولية في الدولة، وهى المركز التجاري الأكثر أهمية وحيوية، فكل بنوك السودان – وعددها ٢٣ بنكا حتى عام ١٩٨٣– تقيم إداراتها الرئيسة بالمدينة وتنشر فروعها في بقية مناطق الدولة، كما تستأثر المدينة وحدها بنحو ٦٠% من العاملين بالدوائر الحكومية بالسودان، وتتركز بها معظم الخدمات الصحية والتعليمية وخدمات النقل والمواصلات والاتصالات، وتعزى بعض التحركات السكانية باتجاه مدينة الخرطوم الكبرى إلى العوامل الاقتصادية المتمثلة في قوى السوق، فلقد تسارع الطلب على القوى العاملة في مجالي: التشييد والبناء والصناعات الصغيرة – وهو الطلب الذي بدأ خلال فترة ما قبل استقلال السودان – تسارع بعد الاستقلال بسبب تغير النمط الصناعي من الصناعات الصغيرة إلى الصناعات المتوطنة localized أو المتركزة في العاصمة، إلى جانب التوطن غير المتكافىء للأنشطة الاقتصادية الأخرى، خاصة الثلاثية منها: الخدمات والتمويل والتجارة٠



و يعكس الملحق رقم (١) التوزيع الإقليميى لأنشطة الصناعة التحويلية بالسودان عام ١٩٨٢، حيث يتبين تركز هذه الصناعة في العاصمة المثلثة، التى برغم إسهامها بنحو ١٠% فقط من سكان الدولة في ذلك الوقت إلا أنها كانت تستأثر بنحـــو ٢٨% مـــن العـــدد الكلـــى لمؤسسات الصناعة التحويلية، و٣٤% مـن العدد الكلى للعاملين بهذه المؤسسات، و٤٨% من الاجور والمرتبات المكتسبة من العمل الصناعي، و٣٩% من الناتج الكلـــى للدولـــة، وعلـــى الطرف الآخر كانت نسبة الإقليم الاستوائي من كل مؤشر من المؤشرات التى يشتمل عليهـــا الجدول أقل من ١%، رغم أن عدد سكانه كان يمثل ٦,٨% من جملة سكان الـــسودان عـــام ١٩٨٣، شكل رقم (١٤).

كذلك تكشف أرقام الجدول التالي أداء الصناعة التحويلية السودانية فـــي عـــام ١٩٨٢ حيث تتضح أهمية مدينة الخرطوم الكبرى سواء من حيث إنتاجية العامل أو من حيث متوسط أجره، فكلاهما مرتفع بالمقارنة بغيرها من أقاليم
الدولة باستثناء الإقليم الشرقي بالنسبة لإنتاجية العامل، ويتفاوت متوسط أجر العامل من إقليم إلى آخر، ومرة أخرى تظهر الخرطوم الكبرى متوسطا أعلى٠



شكل رقم (١٤)

وليس من الصعب معرفة أسباب اتجاه أنشطة الصناعة التحويلية للتركز في هذه المدينة، فالعديد من هذه الصناعات ينتج سلعا استهلاكية يوجهها السوق، الذي يتركز في العاصمة أساسا، حيث تسكن غالبية الطبقة الوسطي، وأكثر من ذلك فالخرطوم الكبرى هي أفضل موقع في الدولة لأن شبكة المواصلات القومية تتشعع منها، وهي مجهزة جيدا بالتسهيلات الخاصة بالبنية الأساسية المادية بالمقارنة بغيرها من المدن الأخرى، وهي العاصمة القومية حيث يكون من السهل الحصول على التراخيص والتمويل والقروض وامتيازات الضرائب المخفضة، وحيث يفضل أصحاب الأعمال من مقاولين ومديرين وتقنيين الحياة فيها لأسباب شخصية.

جدول رقم (١٧) إنتاجية العامل ومتوسط أجره بأقاليم السودان ١٩٨٢[٣٩]

الإقليم	الإنتاجية	متوسط الأجر	الإقليم	الإنتاجية	متوسط الأجر
العاصمة	١ر١٢	١٤٨٥	**دارفور**	١ر٨	٤٦٤
الأوسط	٦ر٨	٧٩٣	**كردفان**	١ر٧	٦٤٣
الشرقي	٨ر١٨	١٢٨١	**الاستوائي**	٣ر٥	٩٥٧
الشمالي	٤ر٨	١٠٦٩	**المتوسط**	٦ر١٠	١٠٦٨

الإنتاجية = ١٠٠٠ جنيه سوداني/عامل، متوسط الأجر جنيه سوداني/ عامل سنويا

Davies , H. , R. , J. , Population Change in The Capital Region , in Abu Sin , M., E. , and Davies , H. , R., J., eds. , The Future of Sudan's Capital Region , Khartoum University Press , Khartoum 1990 , p. 247.

وكما ذكر" ألونسو" .Alonso, W [12-58] فان عوامل الحث inducement التى تدفع أصحاب الأعمال من مقاولين وحرفيين إلى الاتجاه نحو المناطق الهامشية في الدول الأقل نموا هي عوامل مكلفة جدا ولا تجذب إلا فئات الدرجة الثانية، ومما يزيد من هذه التكلفة أن التوطن الصناعي بعيدا عن مدينة الخرطوم الكبرى يواجه ع–دة عقبات أهمها غياب البنية الأساسية الجيدة، انعدام شبكة النقل والمواصلات والاتصالات الجيدة، عدم كفاية وكفاءة السوق المحلى، ندرة القوى العاملة الماهرة والإداريين الأكفاء، وعدم وجود الطبقة المتوسطة.

وهناك عامل مهم يعزز من تركز الصناعة في مدينة الخرطوم الكبرى إلا وهو ذلك الوضع الخاص بالمدينة الذي ظهر إبان فترة الحكم البريطاني للبلاد، فلقد أنشأت الإدارة البريطانية للسودان وضعا مهيمنا للمدينة في ك–ل من: التجارة، الإدارة، الخدمات، والنقل يصعب تغييره في الوقت الحالي، ورغم أن الاستقلال السياسي – والذي حدث منذ نحو ٤٠ سنة – قد أوجد فرصا للتنمية المخططة [15-95]، إلا أن الاتجاه الخاص بالتركز المكاني



للصناعة بالمدينة قد استمر، لأن عوامل السوق تميل إلى استثمار رأس المال في المدينة الأولى وتعتبر المشروعات الصناعية أوضح مثال على ذلك كما يوضح الجدول التالي:

جدول رقم (١٨) توزيع مشروعات الصناعة على مناطق السودان المختلفة ١٩٧٧

المنطقة	العدد	%	المنطقة	العدد	%
الخرطوم الكبرى	٥٤٧	٦٦,٥	النيل الأزرق	١٩	١,٦
شمال كردفان	٥٤	٦,٥	جنوب دارفور	١٣	١,٦
الجزيرة	٤٥	٥,٤	مقاطعات الجنوب	٨	١,٠
البحر الأحمر	٣٩	٤,٥	الشمالية	٧	١,٠
النيل الأبيض	٣٠	٣,٦	شمال دارفور	٤	٠,٥
النيل	٢٧	٣,٤	جنوب كردفان	٣	٠,٤
كسلا	٢٦	٣,٣	الجملة	٨٢٢	%١٠٠

Abdel Rahman , B. , A. , the urban primacy of Greater Khartoum , in Abu Sin , M., E. , and Davies , H. , R., J., eds. , The Future of Sudan's Capital Region , Khartoum University Press , Khartoum 1990 , p. 246.

ولقد أدى تركز المشروعات الصناعية بالعاصمة المثلثة إلى ذلك النمو الكبير – سكانا ومكانا space – الذي شهدته مدينة الخرطوم بحرى، لما تتميز به هذه المدينة من توافر نسبى في الخدمات الأساسية الصناعية كالنقل والاتصالات والسوق الحضرية الكبيرة، وقد أدى هذا النمو الصناعي إلى تزايد الطلب على العمالة -- بشقيها الماهر وغير الماهر، ومن ثم إلى توافر أجور أعلى من تلك التى تتوافر في المناطق الريفية أو حتى في المدن الأصغر.

وقد أدى ذلك بالاختلافات في الدخول النقدية بين سكان العاصمة وسكان غيرها من مناطق السودان الأخرى إلى أن أصبحت إحدى القوى الحقيقية وراء النزوح إلى إقليم الخرطوم الكبرى الحضري، الذي كان متوسط الدخل الفردي فيه في عام ١٩٧٤ يماثل خمسة أمثال نظيره في المناطق الأخرى، وفى عام ١٩٨٧ كان متوسط الدخل الفردي في مناطق السودان الحضرية على مستوى الدولة ٤١١ جنيها سودانيا، مقارنا بنظيره في المناطق الريفية ١٤٨ جنيها، في حين كان في إقليم العاصمة ٥٠٠ جنيه.



ويتضح من توزيع رأس المال المستثمر في الـــصناعات التحويليـــة مـــدى التركـــز الصناعي الذي تتسم به مدينة الخرطوم الكبرى، والتي تـــستأثر وحـــدها بنحـــو ٤٣ % مـــن المؤسسات الصناعية السودانية، تليها محافظة الجزيرة ٢٣% (نحو نصفها)، فمحافظة كسلا ١٨%، كما استأثرت الخرطوم الكبرى بنحو ٣٠ % من رأس المال المستثمر فـــي الـــصناعة على مستوى الدولة ككل، وفى عام ١٩٨٧ توزعت مشروعات البنك الصناعي السوداني على النحو التالي:

جدول رقم (١٩) توزيع مشروعات البنك الصناعي السوداني ١٩٨٧

الإقليم	العاصمة	الأوسط	الشرقي	الشمالي	الغربي	الجنوبي	الجملة
النسبة	٤٨,٦	٢٥,١	١٨,٤	٤,٢	٢,٦	١,١	١٠٠%

Moharir, V., V. and Kagwe, S., Administrative Reforms and Development Planning in The Sudan (1956-1975), University of Khartoum. September 1987, p. 116.

ومن المؤشرات الدالة على تركز الموارد الاقتصادية فـــي إقلـــيم العاصـــمة مؤشـــر الضرائب، فطبقا للإحصائيات التى توردها مصلحة الضرائب السودانية يتضح أن نحو ٧٥% من دافعي الضرائب على مستوى الدولة يقطنون في عاصمتها وبحكم وضعها – كمدينة أولى – تضم الخرطوم الكبرى معظم محاور الحياة الاقتصادية والاجتماعية السودانية، ويوضح ذلك الجدول التالي:

جدول رقم (٢٠) نصيب مدينة الخرطوم
الكبرى من محاور الحياة الاقتصادية والاجتماعية السودانية

المحور	%	المحور	%
الجامعات ودارسي العلوم المختلفة	٩٢	موظفو الحكومة والتقنيون	٦٠
المؤسسات الصناعية	٧٦,٩	الأطباء (مارس عام)	٥٠
القوى العاملة بالصناعة	٧١		
البنوك والمؤسسات التجارية	٦٥	جملة سكان الدولة	٣٣
التقني–ون الطبيون	٦٢	سكان حضر الدولة	٣٢,٤

Ibrahim , S. , Theory and Ideology in Sudanese Urban Studies , in: Der Wel , P. V. , and Ahmed , A. M. , Perspectives on Development in The Sudan , The Hague , March , 1986 , p. 49.



الأسس والنتائج الاجتماعية

يعتبر التفاوت في توزيع الخدمات الاجتماعية بين إقليم الخرطوم الكبرى الحضري وبقية مناطق السودان مؤشرا على مكانة هذه المدينة كنقطة بؤرية أو" إقليم قل–ب "لكل مناطق الدول–ة، وباتخاذ الخدمتين: الصحية والتعليمية كمثال على هذا التفاوت يتبين أن واقع توزيع الخدمات الصحية يوضح أنه بالرغم من تساوى توزيع الخدمات الصحية الأولية على المستوى القومي، إلا أنه يوجد تركز واضح للمتخصص من هذه الخدمات في إقليم العاص–مة، الذي كان يضم ١١ مركزا صحيا متخصصا من مجموعها البالغ ١٣ مركزا على مستوى الدولة، أي بنسبة ٨٥%، بالإضافة إلى تركز الممارسين المتخصصين ونحو ٩٠٠ عي–ادة طبية، أما بالنسبة للخدمات التعليمية فيكفى للدلالة على تركزها في العاصمة أن أربعا من جامعات السودان الست – حتى عام ١٩٩١ – يقع في هذه المدينة، مضافا إليها معظم مؤسسات التدريب التقني المتقدم.

الأسس والنتائج السياسية

لمدينة الخرطوم الكبرى سيادة سياسية مطلقة لأنها تعبر عن الشعور القومي لسكان السودان، وذلك لكونها مركز القيادات والمؤسسات السياسية في الدولة ورغم وجود مكاتب للحكومات الإقليمية في الخرطوم، إلا أنها تعتمد إلى درجة كبيرة على المساعدة الفنية من الحكومة المركزية، ولقد شجع نظام الأحزاب السياسية الذي ساد السودان قبل عام ١٩٨٩ على نزوح مؤيدي هذه الأحزاب إلى مدينة الخرطوم الكبرى، مما يمكن أن يطلق علي–ه"هجرة سياسية" وهو الأمر الذي يبين مساوئ الحكومة المركزية في دولة كبيرة المساحة كالس–ودان، كما أن تركز النظام الادارى في المدينة يعتبر مسئولا عن جذب عوامل خارجية ايجابية عملت بدورها كقوة دافعة لجذب المزيد من السكان، وكما هو معروف فان الوظيفة الإدارية للمدينة تعمل على جذب وظائف اخرى، وتؤدى إلى المزيد من تراكم الموارد والسلع والخدمات، مما يؤدى إلى جذب رأس المال الذي يفضل التواجد بجوار مراكز القوى السياسية وصناع القرار السياسي.

الصورة المتخيلة عن مدينة الخرطوم الكبرى.

بالإضافة إلى العوامل الحقيقية – الاجتماعية والاقتصادية والسياسية – التى تضيف إلى هيمنة مدينة الخرطوم، فان هناك عوامل" تصورية" تؤدى إلى النتائج ذاتها، وبما إن الصورة المتخيلة عن مدينة ما لدى الناس الذين يعيشون خارجها تشكل أنماط سلوك هؤلاء الناس نحو هذه المدينة، خاصة إذا كانت تمثل إقليم قلب core region مركزي محاط بهوامش



peripheries متخلفة فإن معظم النازحين إلى الخرطوم الكبرى غالبا ما يكون سبب نـزوحهم هو تلك القصص التى يرويها عنها أقاربهم وأصدقائهم الذين يعيشون فيهـا، والـذين تكـون أحوالهم أفضل بالمقارنة بأحوال هؤلاء النازحين.

وقد نتج عما سبق أن أصبحت مدينة الخرطوم الكبرى في أذهـان سـكان المنـاطق الأخرى المكان الوحيد في السودان الذي يستطيع فيه الإنسان تحسين أوضـاعه الاقتـصادية والاجتماعية، فهي في نظرهم أفضل مكان بالسودان يمكن الحصول فيه على فرصة عمـل أو خدمة طبية أو اجتماعية، ولما كانت تضم هيئات القوى العاملة وإدارات الهجـرة ووكـالات السفر، ومع تدهور الظروف الاقتصادية في السودان من ناحية، والرواتب المرتفعة فـي دول شبه الجزيرة العربية من ناحية اخرى، فأنها قد أصبحت المعبر إلى الحياة الأفضل فيما وراء البحر الأحمر.

ولقد أضافت البنية الأساسية الفقيرة بكافة عناصرها والتي يتسم بها ظهيـر المدينـة المتسع، إلى هيمنتها الكبيرة، وبالمقابل عملت الدرجة العالية من تركيز المـوارد والخـدمات بالمدينة كمغناطيس يجذب السكان إليها من كل مكان بالدولة، والنتيجة النهائية والحتمية لـذلك هي الاستغلال المفرط لبيئة هذا الظهير المنهكة سلفا، وإهمال هوامش الدولة خاصة المنـاطق الريفية والرعوية.

النتائج العكسية للهيمنة على المناطق الريفية

أصبحت المناطق الريفية السودانية، والتي تشهد نزوحا سكانيا واضحا، هي المنـاطق الأقل تطورا في بلد اقل تطورا هـو الآخـر – underdeveloped parts in underdeveloped country، فلا يزال اقتصادها اقتصادا أوليا تقليديا تسوده الزراعة والرعي، وقـد أدى جفـاف الثمانينيات وما أعقبه من مجاعة طاحنة إلى تسارع مشكلات هذه المنـاطق، ممـا أدى إلـى اتساع الفجوة بين قلب الدولة – مدينة الخرطوم الكبرى – وهوامشها – بقية المناطق خاصـة الريفية منها، وهى الفجوة المتسعة سـلفا بـسبب التركيـز المفـرط للأنـشطة الاقتـصادية والاجتماعية في العاصمة القومية.

ولقد أدى التركز السكاني بالمدينة إلى تركز المزيد من البرامج الاستثمارية فيها، وهى الاستثمارات التى أدت بدورها إلى المزيد من التفاوت بين عاصمة الدولة وبقية مناطقها، وفى الأوقات التى كانت فيها الحكومات غير قادرة على توفير التمويل اللازم لدفع أجور العـاملين بالدولة فأنها كانت تلجأ إلى زيادة عوائدها عن طريق زيادة الضرائب على السلع المستوردة،



إلى جانب رفع الأسعار، ومثل هذه الزيادات كانت تؤثر على سكان الريف بسبب تقليلها لدخوله--م النقدية، مما دفع ببعضهم إلى الهجرة إلى المدينة بحثا عن دخل أعلى.

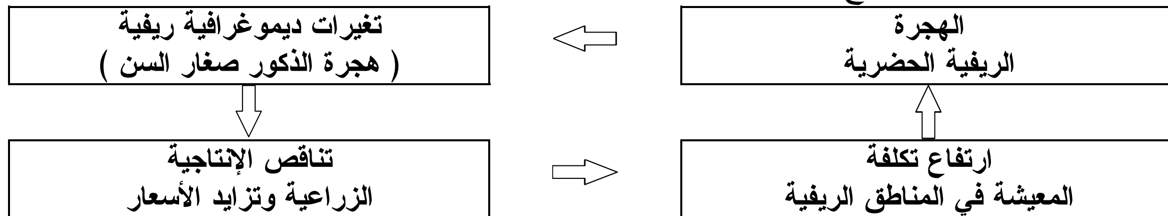
ولقد أثر نزوح بعض سكان المناطق الريفية إلى العاصمة على مستويات الإنتاج الاقتصادي لهذه المناطق، التى تعانى من مشكلات إدارية ومالية متزايدة، وهى المشكلات التى تؤدى – بدورها – إلى تناقص أكبر وتدهور أوضح في مستويات الإنتاج، ويعنى نزوح المزارعين من إقليم منتج – كالجزيرة – ضرورة اعتماد العمل الزراعي بهذه المنطقة الزراعية المهمة على العمالة المؤجرة، وهو الأمر الذي يعنى – بدوره – تقليل هامش ربح مستأجري الأرض الزراعية، والذي ينعكس هو الآخر على مستوى العمل الزراعي وعوائده المالية، ومن ثم يؤدى النزوح كبير المقياس من المناطق الريفية المنتجة إلى تدهور اقتصاد هذه المناطق من ناحية، والى انخفاض خصائص الاقتصاد القومي من ناحية ثانية، والى تفاقم مشكلات مدينة الخرطوم الكبرى – التى يتجه إليها هؤلاء النازحين – من ناحية ثالثة، ويوضح ذلك النموذج التالي:

نموذج تأثيرات نزوح سكان ريف السودان علي مدينة الخرطوم ألكبري

نزوح سكان المناطق الريفية	⇐	**تدنى مستويات الإنتاج الاقتصادي الريفي**	⇐	**انخفاض خصائص الاقتصاد القومي**	⇐	**تفاقم مشكلات مدينة الخرطوم الكبرى**

ومن ناحية اخرى تؤدى الهجرة الريفية – الحضرية المستمرة إلى تفكك المجتمع الريفي وطريقته التقليدية فى الحياة، والى تغييرات ديموجرافية كبيرة من خلال الهجرة الاختيارية للذكور صغار السن، الأمر الذي يؤدى إلى تدهور الانتاجية الزراعية، فارتفاع الاسعار، فارتفاع تكلفة المعيشة، خاصة بالنسبة للفئات محدودة الدخل من المجتمع ككل، كما يبين النموذج التالى:

نموذج تأثيرات الهجرة الريفية – الحضرية السودانية



ولقد أدت هيمنة المجتمع الحضري للخرطوم الكبرى – ٣٣% من سكان حضر السودان – إلى تقزيم دور المدن الأصغر في عملية التحول الاجتماعي – الاقتصادي، فلم يعد سكان الريف يتجهون إلى تلك المدن الصغيرة بسبب بنياتها الأساسية الضعيفة بالمقارنة بتلك الخاصة بمدينة الخرطوم الكبرى.



الخاتمة

يتسم النظام الحضري السوداني بالخلل وعدم التوازن حتى أصبح الفقر سمة ملازمة للمدينة السودانية بما فيها عاصمة الدولة، وهو الأمر الذي أدى إلى ظهور" أحزمة الفقر" حول هذه المدن بدلا من النطاقات الخضراء ومناطق السكن العشوائي والأحياء السكنية المتدنية بدلا من الضواحي العصرية.

ويرجع السبب الرئيس الذي أدى إلى ذلك الوضع إلى تفرد مدينة الخرطوم الكبرى عاصمة الدولة بوضع مهيمن قل أن يوجد له مثيل بين نظراء السودان من دول العالم النامي، حيث تنطبق مقولة الرأس الكاسح والجسم الكسيح على العلاقة بين مدينة الخرطوم كقلب core وبقية مدن السودان الأخرى ومناطقه الريفية والبدوية كهوامش peripheries لهذا القلب، هذه الهوامش التى قد تصاب بالشلل في بعض الأحيان أو المناطق نتيجة تدفق كل عناصر الحياة الاقتصادية والاجتماعية نحو عاصمة الدول–ة؛ التى لا تمارس إلا جانب واحد من وظائف القلب ألا وهو جانب الأخذ، في حين تهمل جانب العطاء أو التوزيع، وذلك أولا بسبب استئثارها بمعظم هذه العناصر وحرمانها أعضاء الجسم العمراني السوداني الأخرى منها، وأخيرا بسبب تورمها وتضخمها بالسكان إلى حد التخمة، ثم بالمشكلات إلى حد العجز التام والشلل في بعض الأحيان، كما حدث إبان أزمة فيضان عام ١٩٨٨ عندما" غرقت" هذه المدينة في مياه فيضان ذلك العام وكانت قبله قد" غرقت" في مستنقع مشكلاتها الحضرية المزمنة.

وقد بلغت المدينة المثلثة مرحلة الهيمنة جزئيا إبّان فترة السيطرة البريطانية على السودان غير أنها" قفزت" إلى وضعها الحضري المهيمن الحالي دون المرور بمرحلة تغير تدريجي، ولذلك فإنها لا تزال ضعيفة بنائيا واقتصاديا، مما يجعلها مدينة"بالتعريف الإداري" أكثر منها بالتعريف الوظيفي، رغم أن نصيبها من جملة سكان السودان قد ارتفع من ٥% في عام ١٩٥٦ إلى ١٨% في عام ١٩٩٠، ومن ناحية اخرى فان نموها السكاني غير المتوازن قد عرّض بيئتها الحضرية إلى ضغوط متزايدة تمثلت في: اتساع الفجوة بين عرض الإسكان والطلب عليه، عدم كفاءة وكفاية الخدمات الحضرية المقدمة لسكانها أنفسهم، الازدحام، تدهور الظروف البيئية الحضرية، وانتشار المحلات العمرانية غير القانونية التى كان يسكنها نحو ٣٣% من سكان المدينة في عام ١٩٩٠، والتي تتمثل في المناطق السكنية الرديئة كمدن الصفيح والكرتون – كرتون كسلا – والأحياء السكنية المتدنية، التى أصبحت تمثل ٢٥% من المناطق المنشأة سنويا بالمدينة منذ عام ١٩٧٦.



وقد تضاعف عدد سكان المدينة ثلاث مرات خلال الفترة ٥٦ – ١٩٨٣ في الوقت ذاته الذي تضاعف فيه عدد سكان السودان ككل مرة واحدة، مما يدل على الارتفاع المتزايد لنصيب المدينة من سكان الدولة، وقد أدى هذا النمو السكاني"الانفجاري" إلى رفع معدلات بطالة سكانها والى المزيد من تدهور بيئتها الحضرية.

وتعود أصول سكان المدينة المثلثة إلى منطقة شمال السودان أساسا، وهذا يعنى أن صافى الهجرة هو الذي أسهم بالنسبة الكبرى من النمو السكاني للمدينة فقد كان نحو ٧٠% من سكان مدينة الخرطوم و٧٤ % من سكان مدينة الخرطوم بحرى و٨٣ % من سكان مدينة ام درمان ينتمون إلى هذه المنطقة، ومما يؤكد ذلك أن تعداد ١٩٨٣ – وهو الذي سبق فترة التدفق السكاني نحو العاصمة المثلثة بسبب ثلاثية: الجفاف والمجاعة والحرب – قد أثبت أن ٤٦% من سكان المدينة المثلثة لم يكونوا من مواليدها.

وبافتراض عجز المدينة عن توفير فرص العمل لسكانها المتعطلين والنازحين إليها من كافة أنحاء السودان – وهى كذلك بالفعل – فانه من المتوقع استمرار نزوح هؤلاء السكان إلى المدينة بمعدلات نزوحهم الحالية مما يزيد من هيمنتها من ناحية ومن الإخفاق في إصلاح التركيب الزراعي في مناطق الريف السوداني من ناحية اخرى، وهو الأمر الذي يكرس بدوره من هذه الهيمنة عن طريق الهجرة" الريفية – الخرطومية" إن صح التعبير، ولا حل لهذه المشكلة – من وجهة نظر الباحث – إلا بتطبيق سياسة التنمية الإقليمية في السودان عن طريق نشر أكبر عدد ممكن من مراكز أو أقطاب النمو growth poles or growth centers حسب الامكانات المتاحة في هذا البلد – المشكلة.



الـهوامش

١. اعتمدت هذه الدراسة إلي حد كبير علي دراسة سابقة صدرت عن جامعة الخرطوم في عام ١٩٩٠ عن مستقبل إقليم العاصمة السودانية هي:

Abu Sin , M. , E. , and Davies , H. , R. , J. , eds. , The Future of Sudan ' s Capital Region , A Study in Development and Change , Khartoum University Press , Khartoum , 1990.

وقد تضمنت هذه الدراسة مقالة عن الهيمنة الحضرية Urban Primacy للخرطوم الكبرى اكتفت فقط بمعالجة الأساس الاقتصادي والاجتماعي لهذه الهيمنة، هي الفصل السابع والعشرين من الدراسة السابقة.

٢. فتحي محمد أبو عيانه – السكان والعمران الحضري – دار النهضة العربية – بيروت – ١٩٨٤ – ص ٢٩١.

٣. المرجع السابق – المكان نفسه و ص ٣٠٧.

٤. المرجع السابق – ص ٢٢٩ و أحمد محمد عبد العال – وظائف المدن المصرية تصنيف وظيفي مقترح – مكتبة النهضة المصرية – القاهرة – ١٩٨٩ – ص ٩٣.

٥. فتحي محمد أبو عيانه – مرجع سبق ذكره – ص ٢٩٢.

٦. جمال حمدان – جغرافية المدن – ط٢ – عالم الكتب – القاهرة – ١٩٧٧ – ص ٤٠٤.

٧. المرجع السابق – ص ٣٠٦.

٨. أحمد على إسماعيل – دراسات في جغرافية المدن – ط٣ – دار الثقافة للنشر والتوزيع – القاهرة – ١٩٨٥ – ص ١٨٨.

٩. المرجع السابق – ص ١٩٢، و فتحى محمد أبو عيانه – مرجع سبق ذكره – ص ٢٩٦، وجمال حمدان – مرجع سبق ذكره – ص ٢٦٧.

١٠. فتحي محمد أبو عيانه – مرجع سبق ذكره – المكان نفسه.

١١. عبد الحميد بله – سياسات التوزيع السكاني – ورقة مقدمة إلى مؤتمر التنمية الاجتماعية وترقية الخدمات بالعاصمـ–ة القومية – الخرطوم – بدون تاريخ – ص ٣.

١٢. فتحي محمد أبو عيانه – مرجع سبق ذكره – ص ٣.

13. Ibrahim , S. , Theory and Ideology in Sudanese Urban Studies , in: Der Wel , P. V. , and Ahmed , A. M. , Perspectives on Development in The Sudan , The Hague , March , 1986 , p. 49.

١٤. المرجع السابق – المكان نفسه.

15. Abdel Rahman , B. , A. , The Urban Primacy of Greater Khartoum , in: Abu Sin , M., E. , and Davies , H. , R., J., eds. , Op.Cit , p. 247.

١٦. أحمد محمد عبد العال – الأخطار البيئية والتحركات السكانية في الس–-ودان – المجلة العلمية لكلية الآداب جامعة المنيا – المجلد الخامس عشر – الجزء الثالث – يناير ١٩٩٥ – ص ٢٨٥ و ٢٩٣ و:

Davies , H. , R. , J. , and Abu Sin , M., E. , The Heart of Sudan , in: Abu Sin , M., E. , and Davies , H. , R., J., eds. , Op.Cit, p.2.

17. Ibid. p. 2.

18. Davies , H. , R. , J. , Population Change in the Capital Region , in: Abu Sin , M., E. , and Davies , H. , R., J., eds. , Op.Cit, p. 132.

19. El - Bushra, S., and Hijazi, N., B., The Impact of Greater Khartoum on the Rest of The Sudan, in: Abu Sin, M., E., and Davies, H., R., J., eds., op.cit, p.254.

20. Loc. cit.

21. Abdulla , M., and Abu Sin , M., E., Landuse in Sudan 's Capital City , in: Abu Sin , M., E. , and Davies , H. , R., J., eds. , Op.Cit, p.81.

22. ibid, p. 83.

23. Davies , H. , R. , J. , Population Change in The Capital Region , in : Abu Sin , M., E. , and Davies , H. , R., J., eds. , Op.Cit, p.133.



24.Hag Ahmed, E., E., Rural Khartoum Development Systems, in: Abu Sin M., E., and Davies, H., R., J., eds., Op.Cit, p.91.
25.Hag Ahmed, E., E., Rural Khartoum Development Systems, in: Abu Sin M., E., and Davies, H., R., J., eds., Op.Cit, p.88.
26.EL - Agraa, O., et al., Popular Settlements in Greater Khartoum, SGAHS, Khartoum, 1985, p. 99.
27.United Nations World population chart, 1990, p.3.
28.Davies , H. , R. , J. , and Abu Sin , M., E. , The Heart of Sudan , in: Abu Sin , M., E. , and Davies , H. , R., J., eds. , Op.Cit, p.1.
29.Davies , H. , R. , J. , and Abu Sin , M., E. , the heart of Sudan , in: Abu Sin , M., E. , and Davies , H. , R., J., eds. , op. cit. p 138.
30.Davies , H. , R. , J. , Population Change in The Capital Region , in : Abu Sin , M., E. , and Davies , H. , R., J., eds. , Op.Cit, p.132.
31.El Agraa, O., et al., popular settlements in Greater Khartoum, SGAHS, Khartoum, 1985, p. 177.
٣٢.أحمد محمد عبد العال – مرجع سبق ذكره – ص ٢٥٠ و:
Davies, H., R., J., Population Change in the Capital Region, op. cit. p. 257.
٣٣.المرجع السابق – ص ٢٤٦.
٣٤.تتمثل الأنشطة الاقتصادية لهؤلاء النازحين في ما يعرف" بالمهن الطفيلية" كالتجارة البسيطة وتنظيف السيارات أو بيع الشاي والسجائر للمارة في الشوارع، وأحيانا بعض الأعمال غير القانونية كصناعة الخمور الرديئة.
٣٥.ويطلق عليهم اصطلاح أطفال الشوارع أو" الشماسة" لأنهم يتعرضون دوما لأشعة الشمس، والذين يهيمون على وجوههم في الشوارع بلا مأوى ويقضون الليل في الأماكن الخربة أو حتى في الحفر الطولية المخصصة لتصريف مياه الأمطار والسيول.
36.Abdel Rahman , B. , A. , the urban primacy of Greater Khartoum , in:Abu Sin , M., E. , and Davies , H. , R., J., eds. ,op. cit , p. 246.
37.ibid. p. 247.
38.Abdel Ati , H. , A. , Child Vagrancy in The National Capital , in::Abu Sin , M., E. , and Davies , H. , R., J., eds. , op. cit. , p. 246.
39.Davies, H., R., J., Population Change in the Capital Region, op. cit. p. 134.
40.Alonso , W. , Location theory , in: Friedmann , J. and Alonso , W. , eds. , Regional Development And Planning, The M.I.T., Cambridge, Massa. , 1964. p. 58.
41.El Agraa, O., op. cit., p. 95.
42.Abdel Rahman, B., A., op. cit. p. 251.
43.Moharir, V., V. and Kagwe, S., Administrative Reforms and Development Planning in The Sudan (1956-1975), University of Khartoum. September 1987, p. 116.
44.Ibrahim , S. , Theory and Ideology in Sudanese Urban Studies , in: Der Wel , P. V. , and Ahmed , A. M. , Perspectives on Development in The Sudan , The Hague , March , 1986 , p. 49



ملحق رقم (١)

التوزيع الاقليمى لأنشطة الصناعة التحويلية في السودان ٨١ -١٩٨٢

النشاط الصناعي	العاصمة	الأوسط	الشرقي	الشمالي	دارفور	كردفان	الاستوائي	الجملة
المؤسسات	١٩٢٢	١٧٨٢	٧٧٧	٩٩٣	٤١١	٩١٥	١٩	٦٧٥٩
%	٢٨,٤	٢٦,٤	١١,٥	١٣,٨	٦,١	١٣,٥	٠,٣	١٠٠
العمالة	٤٩٥٧٦	٦٤٥٧٢	١٢٨٠٧	٤٨٧٩	٣٣٦٧	٨٢٦١	١٠٤١	١٤٤٥٠٣
%	٣٤,٣	٤٤,٧	٨,٩	٣,٤	٢,٣	٥,٧	٠,٧	١٠٠
الناتج	٦٠٨٨٦٤	٥٥٨٢٨٦	٢٤١٧١٥	٤١١٤٧	٢٧٤٠٤	٥٩٠٧٣	٥٥٨٦	١٥٣٦٠٨٥
%	٣٩,٢	٣٦,٣	١٥,٧	٢,٧	١,٨	٣,٨	٠,٤	١٠٠
القيمة	١٥٩٤٨٢	٢٣٤٣٤٤	١١٧٦٩٧	٢٠٥١١	٧٠١٣	١٦٨٨٦	١١٦٣	٥٥٧٠٩٦
%	٢٨,٦	٤٢,٢	٢١,١	٣,٧	١,٣	٣	٠,٢	١٠٠
الاجور	٧٣٦٠١	٥١١٩٨	١٦٤٠٩	٥٢١٥	١٥٦٢	٥٣٠٨	٩٩٦	١٥٤٢٨٩
%	٤٧,٧	٣٣,٢	١٠,٦	٣,٤	١	٣,٤	٠,٦	١٠٠
رأس المال	٣٠٧٧٧٥	٥٤١٧١٢	١٧٤٢٨٨	١٠٦٦٥	١٠٣٢٣	٢٥٩٧٧	٤٧٤٦	١٠٧٥٤٨٦
%	٢٨,٦	٥٠,٤	١٦,٢	١	١	٤ر٠	٠,٤	١٠٠

الناتج الاجمالى والقيمة المضافة والأجور ورأس المال بالألف جنيه ســوداني [كـــان الدولار الأمريكي = ١٥ جنيها سودانيا عام ١٩٩٠]

Abdel Rahman , B. , A. , the urban primacy of Greater Khartoum , in: Abu Sin , M., E. , and Davies , H. , R., J., eds. , the future of Sudan 's capital region , University of Khartoum Press , Khartoum 1990 , p. 249.



المصادر

١. أحمد على إسماعيل – دراسات في جغرافية المدن – ط٣ – دار الثقافة للنشر والتوزيع – القاهرة – ١٩٨٥.
٢. أحمد محمد عبد العال – الأبعاد المكانية للخصائص الوظيفية للمدن المصرية – مكتبة النهضة المصرية – القاهرة – ١٩٩٠.
٣. أحمد محمد عبد العال – الأخطار البيئية والتحركات السكانية في السودان – المجلة العلمية لكلية الآداب جامعة المنيا – المجلد الخامس عشر – الجزء الثالث – يناير ١٩٩٥.
٤. أحمد محمد عبد العال – وظائف المدن المصرية.٠٠ تصنيف وظيفي مقترح –- مكتبة النهضة المصرية – القاهرة – ١٩٨٩.
٥. جمال حمدان – جغرافية المدن – ط٢ – عالم الكتب – القاهرة – ١٩٧٧.
٦. عبد الحميد بله – سياسات التوزيع السكاني – ورقة قدمت لمؤتمر التنمية الاجتماعية وترقية الخدمات بالعاصمة القومية – الخرطوم – بدون تاريخ.
٧. فتحي محمد أبو عيانه – السكان والعمران الحضري – دار النهضة العربية – بيروت – ١٩٨٤.
٨. وزارة الإسكان – المؤتمر الأول للإسكان بالولايات – الخرطوم – مارس ١٩٩٢.

9. Abdel Ati , H. , A. , child vagrancy in the national capital region , in: Abu Sin , M. , E. , and Davies , H. , R. , J. , eds. , the future of Sudan s capital region , Khartoum University Press , Khartoum , 1990.
10. Abdel Rahman B. , A. , the urban primacy of Greater Khartoum , in: Abu Sin , M., E. , and Davies , H. , R., J., eds. the future of Sudan's capital region , Khartoum University Press , Khartoum , 1990.
11. Abdulla , M., and Abu Sin , M., E., landuse in Sudan 's capital city , in: Abu Sin , M., E. , and Davies , H., R., J., eds. , the future of Sudan 's capital region , Khartoum University Press , 1990.
12. Alonso , W. , Location theory , in: Friedmann , J. and Alonso , W. , eds. , Regional Development And Planning, The M.I.T., Cambridge, Massa. , 1964.
13. Davies , H. , R. , J. , and Abu Sin , M., E. , the heart of Sudan , in: Abu Sin , M., E. , and Davies , H. , R., J., eds. , the future of Sudan 's capital region Khartoum ,University Press , 1990.
14. Davies , H. , R. , J. , population change in the capital region , in: Abu Sin , M., E. , and Davies , H. , R., J., eds. , the future of Sudan 's capital region Khartoum ,University Press , 1990.
15. El - Basra, S., and Hijazi, N., B. , the impact of Greater Khartoum on the rest of the Sudan , in: Abu Sin , M., E. , and Davies , H. , R., J., eds. , the future of Sudan 's capital region Khartoum ,University Press , 1990.
16. El- Kheir , O. , M. , unauthorized settlement in Greater Khartoum , in Abu Sin , M., E. , and Davies , H. , R., J., eds. , the future of Sudan 's capital region Khartoum ,University Press , 1990.
17. El Agraa, O., M., et al., popular settlement in Greater Khartoum, SGAHS. Khartoum, 1985.



18. Hag Ahmed , E., E., rural Khartoum development systems , in: Abu Sin , M., E. , and Davies , H. , R., J., eds. , the future of Sudan 's capital region Khartoum ,University Press , 1990.
19. Ibrahim , S. , Theory and Ideology in Sudanese Urban Studies , in: Der Wel , P. V. , and Ahmed , A. M. , Perspectives on Development in The Sudan , The Hague , March , 1986.
20. Moharir, V., V. and Kagwe, S., Administrative Reforms and Development Planning in The Sudan (1956-1975), University of Khartoum. September 1987.
21. United Nations World population chart - 1990

